

18

دوريات عالمية للجيب

Looloo

www.dvd4arab.com

القائمة
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع

TRUSTEE - DUBAI - U.A.E.

لأغراض التوزيع

مقدم : أوسكار وايلد
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

دوريات جرای

المؤلف

اليوم نحاول الابتعاد قليلاً عن عالم المغامرة ،
والأحداث المثيرة الصاعقة ، لتدنو أكثر من عالم
الأدب الرومانسي ، والذي هو درجة أكثر نضجاً في
درجات تفوقنا للأدب العالمي ..

أنيب اليوم لا يمكن الكلام عنه إلا في كتاب كامل ..
ولعله من أكثر كتاب العالم الذين صدرت عن حياتهم
دراسات كاملة .. وحياته بحر لا ينتهي من الصخب
والقيل والقال ..

لكننا سنكون محددين مختصرين .. ألم يقل (مكابييس)
إنه « من الحمق أن تطيل في المقدمة .. وتأتي القصة
ذاتها قصيرة » ؟

ولد (أوسكار وايلد) في ١٦ أكتوبر عام ١٨٥٤
في (دبلن) .. الابن الثاني لمسير (ويليام وايلد) -
طبيب وجراح عيون فائق الشهرة - وأم كانت تحارب
من أجل حرية (إيرلندا) بقلمها ..

وفي المدرسة - كعادة الأبناء - لم يبد (أوسكار)
حماساً للألعاب الصبيانية .. كان يؤثر الوحدة وقراءة
الأدب الإغريقي والشعر ...

روايات عالمية لا يجب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمي ، في مختلف صنوفه ..
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
وإليك ..

د. نبيل فاروق

وكان لقراءاته هذه الفضل في أن يظفر - فيما بعد -
بمنحة لجامعة (أوكتفورد) ، وظفر هناك بشعبية
لا بأس بها بسبب لماحيته وروحه المرححة .. وبدأت
أشعاره تولد على صفحات المجلات الإيرلندية ..
وحين تخرج في (أوكتفورد) كان قد نال شهرة
بآرائه الثورية التي تصدم أذواق السواد الأعظم من
الناس ... ، وكانت ثيابه الزاهية منفرة الألوان تعكس
هذا التحدي ..

سافر إلى الولايات المتحدة ليلقى بضع محاضرات ،
ثم تزوج (كونستانس لويدي) وأنجب منها طفلين ،
واضطرت له المسئوليات إلى أن يعمل مراجعاً في مجلة
(بول مول) ثم صار محرراً لمجلة (عالم المرأة) ..
كان هذا الوقت - عام ١٨٨٧ - هو الذي كتب فيه
قصة (شبح كاترفيل) .. وبعد هذا بعام أصدر
مجموعة من القصص الخيالية تحت عنوان (الأمير
السعيد وقصص أخرى) .. تلا ذلك إصدار روايته
الوحيدة (دوربان جراي) وهي القصة التي بين يديك
الآن .. ، وقد قوبلت هذه القصة بهجوم عنيف في
البداية ، واستخدمها مهاجموه كدليل إثبات ضده في
محاكمة (كوينز بري) الشهيرة ..

وعلا تجم (وايلد) سريعاً ، وامتلات الصحف بآرائه
وأخباره .. وقدم مسرح (سانت جيمس) روايته
(مروحة الليدى وندرمير) التي دشنت اسمه كأحد أهم
كتاب المسرح الإنجليزي .. ولقد قدمت السينما
المصرية .. ذات الرواية باسم (امراتان) منذ عقدين
من الزمان ..

شهد العام ١٨٩٥ ظهور أعماله (امراة بلا أهمية)
و (الزوج المثالي) وتحفته الخالدة (أهمية أن تكون
جاداً) و (سالومي) ..

كان لهذه الشهرة دور في تبديل شخصية (وايلد) -
ليس بشراً ؟ - كأنما تحقيق الطموحات قد حرر
ميولاً مرضية ما في تكوينه .. وسرعان ما بدأ تدهور
الرجل إلى نهايته ..

وتكفل أصحاب السوء بتسهيل طريق الرذيلة
للرجل ، حتى قدم للمحاكمة فيما يعرف بـ (محاكمة
كوينز بري) .. وحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة
لمدة عامين ..

وفي السجن كتب إلى صديقه (الفرد دوجلاس)
خطاباً شهيراً جداً نشر فيما بعد باسم (من الأعماق)
أو De profundis ..

ويغادر (وايلد) السجن فيترك البلاد إلى فرنسا .. ،
 ويمضي الوقت دون كتابة أعمال مهمة أخرى ،
 ثم يصيبه التهاب الأذن الوسطى الذى يؤدى به
 إلى الحمى الشوكية فى ديسمبر عام ١٩٠٠
 ويلفظ أنفاسه الأخيرة فيدفن فى باريس .. فى
 مقبرة (بيرلاشيز) فى (مونمارتر) ..
 يقول (ماكس بيربوم) : كان الجمال موجوداً
 منذ دهر قبل عام ١٨٨٠ ، لكن (أوسكار
 وايلد) هو أول من رآه .. »

ويقول (وايلد) : « على الفنان أن يخلق أشياء
 جميلة .. لكن عليه ألا يضيف شيئاً من حياته
 الخاصة إليها .. »

لكننا سندرك من الصفحات التالية شخصية
 هذا الأديب العظيم المفعمة بالشاعرية والحساسية
 والقلق ..

د . أحمد خالد

- ٩ -

كان المرسم يعبق برائحة الورود .. وحين تتحرك
 ريح الصيف الهينة بين أشجار الحديقة ؛ كانت روائح
 زهرة (الليلاك) تتسلل من الباب المفتوح ، ومعها
 عبق نباتات أكثر رقة وشفافية ..

وعلى المتكأ يجلس اللورد (هنرى وتون) يدخن
 كدأبه ما لا حصر له من لفافات التبغ ، يتأمل الزهور
 الرقيقة من وراء زجاج النافذة .. ويصفى لأريز النحل
 الخافت وهو يفتش فى إصرار رتيب حول الأعشاب
 فى الحديقة ، ومن بعيد تبدو ضوضاء (لندن) لمسمعها
 كنخمة يرددها معزف بعيد ..

وفى منتصف الغرفة - على حامل منتصب - صورة
 مرسومة بالحجم الطبيعى لشاب شديد الوسامة إلى حد
 غير عادى .. وأمامها جلس الرسام ذاته (باسيل
 هولورد) الذى أثار اختفاؤه المفاجئ منذ أعوام
 ضوضاء عامة .. وجلب شائعات كثيرة ..

ابتسم الفنان فى رضا وهو يتأمل عمله المتقن ..
 وفجأة أغمض عينيه .. ووضع أنامله على جفنيه
 كأنما ليسجن حلماً غريباً فى ذهنه يخشى أن يصحو ..
 قال لورد (هنرى) :

- « هذا خير عمل لك يا (باسيل) .. أفضل ما قمت به .. يجب أن ترسله إلى (جروزفينور) في العام القادم .. إن الأكاديمية هنا غير مناسبة .. كلما ذهبت هناك وجدت إما أناسًا كثيرين فلا أستطيع رؤية اللوحات - وهذا سيئ - أو أجد لوحات كثيرة فلا أستطيع رؤية الناس - وهذا أسوأ - .. إن (جروزفينور) هي خير مكان .. »
هز الرسام رأسه بطريقة طالما أضحكت أصدقاءه منه .. وقال :

- « لا أحسبني مرسلها إلى أي مكان .. »
رفع لورد (هنري) حاجبيه وتأمله في دهشة عبر سحب الدخان ..

- « لن ترسلها ؟ لم يا صديقي العزيز ؟ يا لكم معشر الفنانين من غرباء الأطوار ! .. إن لوحة كهذه سترفع ذكرك عاليًا في إنجلترا .. ولسوف يغار منك الشيوخ لو كان للشيوخ أن يشعروا بشيء .. »

- « اعلم أنك ستسخر .. لكني لا أستطيع عرضها .. فقد وضعت كثيرًا من ذاتي فيها .. »

- « كثيرًا من ذاتك ؟ لعمرى يا (باسيل) لم أدر أنك بهذا الحمق .. لا أجد أي تشابه بينك بوجهك القوى وشعرك الفاحم ، وبين هذا الشاب الوسيم الذي صنع من العاج والزهور .. إن وجهك يحمل تعبيرًا

ذكيا يا (باسيل) .. لكن الجمال الحقيقي ينتهي حيث تبدأ التعابير الذكية .. الذكاء يدمر توازن أي وجه .. وحين يجلس المرء ليفكر يتحول بأكمله إلى أنف أو جبين .. إن صديقك الجميل هذا الذي لا أعرف اسمه هو إنسان لا يفكر .. مخلوق جميل خاو من العقل .. أنا واثق من هذا .. لا تتعلق نفسك يا (باسيل) فأنت لا تحوى أقل شبه به .. »

أجاب الرسام :

- « أنت لا تفهمنى .. أنا لا أشبهه البتة .. أعرف هذا .. إن (دوريان جراي) هذا .. »

نهض لورد (هنري) وتساءل :

- « (دوريان جراي) ؟ أهذا اسمه ؟

- « نعم .. لم أكن أبغى إخبارك به .. »

- « لعله ؟ »

- « ربما لأنني أحب الغموض .. هذا هو ما يجعل الحياة المعاصرة شائقة .. وحين أسافر لا أخبر القوم عن وجهتي وإلا فقدت متعنى .. عادة سخيفة لكنها تثير الخيال .. أترى أنني أحمق ؟ »

- « بتاتا يا عزيزي (باسيل) .. بتاتا .. يبدو أنك تسمى أنني متزوج ... ومزية الزواج الساحرة هي أنها تجعل حياة الخداع ضرورية للزوجين ! »

قال (باسيل) ماشيًا نحو الباب المفتوح إلى الحديقة :
« إننى أمقت طريقتك فى الحديث عن الزواج ..
فأنت زوج طيب .. لكنك شخص غير عادى .. كل
كلامك بذىء وكل أفعالك نقيّة ظاهرة .. »

وخرج الرجلان إلى الحديقة وجلسا على مقعد طويل
من البامبو تحت خميلة ، وقد اتسبب ضوء الشمس
من بين الأوراق ..

أخرج للورد ساعته وقال :

« أخشى أن يكون على الانصراف أى (باسيل) ..
لكن - قبل رحيلى - أرغب فى أن تجيب عن سؤالى ..
لماذا لا تريد عرض صورة (دوريان جراى) ؟ أريد
الإجابة الحقيقية .. »

« قلتها لك .. »

« كلا .. لم تفعل .. قلت : إن هناك الكثير من ذاك ..
وهذا تفسير طفولى .. »

نظر (باسيل) فى عينيه وقال :

« .. إن كل لوحة رسمت بإحساس صادق هى صورة
للرسم وليس للجالس أمامه .. ليس الجالس هو من
تراه بل الرسم الذى كشف روحه على القماش .. لقد
أظهرت أدنى أسرار روحى فى هذه الصورة ؛ لهذا
أهلب عرضها على الملأ .. »

ابتسم لورد (هنرى) والتقط زهرة أقحوان
أرجوانية من الأعشاب ، وراح يتأملها مصفيا .. وهو
يتسائل عن بقية ما سيقول (باسيل) ..
بعد هزيمة قل الرسام :

« منذ شهرين ذهبت إلى حفل فى دار السيدة
(براندون) .. أنت تعرف أن على الفئتين الفقراء أن
يظهروا فى المجتمعات من آن لآخر ليعرف الناس
أنهم ليسوا متوحشين .. وبمعطف سهرة وربطة عنق
بيضاء يمكن لأى جلف أن يبدو للناس متحضرًا ..
وقضيت عشر دقائق أثرى مع رجال الأعمال
والأكاديميين المململين .. ثم شعرت بأن هناك من
يراقبنى .. استدرت لأرى (دوريان جراى) للمرة
الأولى .. أدركت للمرة الأولى أن هذا الشخص
بوجوده الساحر قادر على امتصاص وجودى وفنى
ذاته .. أصابنى الهلع .. وشعرت أن القدر يدارى لى
مسررات عديدة وآلامًا لا توصف .. واستدرت لأغادر
القاعة يحدونى شعور هو نوع من الجبن .. وهنا
اصطدمت بالسيدة (براندون) .. فسألتنى بصوتها
الصارخ الرفيع (لا أظنك مفارقًا بهذه السرعة يا مستر
هولورد) ؟ لم أستطع التملص منها .. وقدمتنى إلى
أمراء من الأسرة المالكة وأشخاص يرتدون ربطة

المساق والأشرطة ونساء من العجائز المتصاليات ..
قدمتني لهم باعتباري أعز أصدقائها وفي النهاية
وجدتني أصفح (دوريان جراي) .. وتعارفنا ..
سأله اللورد :

- وكيف وصفت لك السيدة (براندون) هذا الشاب ؟
إنها تعامل ضيوفها كما تعامل سمسار المزايدات
بضاعته .. إنها تخبرك بكل تفاصيلهم فيما عدا الشيء
الذي تود معرفته حقاً ..

- « آه يا عزيزي .. أنت قاس عليها .. »
- « لقد حاولت تلك المرأة أن يكون لها صالون
أدبي .. لكنها نجحت في أن يكون لها مطعم .. فكيف
أعجب بها ؟ قل لي ما قالت له عنه »

- « قالت كلاماً فارغاً على غرار (فتى ساحر - المرحومة
أمه وأنا كنا لا نفترق - لا أذكر عمله .. أعتقد أنه
لا يعمل شيئاً - أوه .. نعم .. إنه يعزف على البيانو ..
لم تراه الكمان ؟) .. ولم أستطع أنا و (جراي) أن
نمنع أنفسنا من الضحك .. وصرنا صديقين على
الفور .. »

قال اللورد :

- « ليس الضحك بداية سيئة للصدقة .. وما زال
أفضل نهاية لها .. »

ثم سأله وهو يداعب لحيته البنية المدببة :

- « هل ترى هذا الك (دوريان) كثيراً ؟ »
- « يومياً .. ولا أشعر بسعادة ما لم أراه .. »
- « غريب ! حسبك لا تبالي بشيء فيما عدا فنك .. »
قال الفنان بجدية :

- « أحياناً يخطر لي أن هناك عنصرين شديدي الأهمية
في تاريخ العالم .. الأول هو ظهور وسط مناسب
للفنون .. والثاني هو ظهور شخصية مناسبة للفنون ..
إن (دوريان جراي) لوجه ملهم .. وأعتقد أن هذه
الصورة هي خير ما رسمت في حياتي .. لكن - لا أرى
إذا كنت تفهمني - شخصيته قد ألهمتني بأسلوب فريد
في الرسم .. يمكنني أن أرسم الحياة بطريقة كانت
خبينة عنى قبل اليوم .. إنه يقدم لي معالم مدرسة
جديدة .. مدرسة تحوى كل عاطفة الرومانسيين وإتقان
وكمال الروح الإغريقية .. تتناغم الروح مع الجسد ..
نحن فصلنا الاثنين عن بعضهما فتركنا روحاً خاوية
وجسداً سوقياً فقط .. »

« (باسيل) ! .. إن هذا مذهل .. لا بد من أن أرى
(دوريان جراي) .. »

- لهذا تفهم سر إحجامي عن عرض الصورة ..
نحن نعيش في عصر ينظر فيه الناس إلى الفنون

نظرتهم إلى السير الذاتية .. لقد فقدنا حاسة تجريد الجمال .. «

- « لن ألح عليك يا (باسيل) .. الجهلاء فقط هم من يجادلون ويلحون .. قل لى .. هل (دوريان جراى) يميل إليك كصديق ؟ »

تفكر الرسام هنيهة ، ثم قال :

- « يميل إلى .. أعرف هذا .. إننا نتحدث فى آلاف المواضيع بينما نحن فى المرسم .. لكنى أجد فيه أحياناً خواء عقلياً مروغاً .. »

أشعل اللورد عوداً من النقاب فسيجاراً ، وقد بدا عليه الرضا عن النفس .. من حسن الحظ أن الموعد قد فات .. فلن يذهب لدار عمته .. حيث يلقي لورد (هودبودى) ويدور الحديث حول إطعام الفقراء ، وأهمية التوسع فى بناء المساكن .. لحسن الحظ أنه قد فر من هذا .. وهنا تذكر شيئاً فالتفت إلى صاحبه وقال له :

- « لقد تذكرت شيئاً الآن يا صديقى .. »

- « تذكرت ماذا ؟ »

- « تذكرت أين سمعت اسم (دوريان جراى) .. »

- « أين ؟ »

سأله (هولورد) مقطب الجبين .. فقال اللورد :

- « كان هذا عند عمى (أجاثا) .. قالت لى : إنها تعرفت شاباً لطيفاً .. وأنه جاد مخلص .. تخيلت على الفور رجلاً يرتدى العوينات وقد امتلأ وجهه بالتمش .. ولم أتصور لحظة أنه صاحبك .. »

- « يمرنى أنك لم تعرف .. »

- « لماذا ؟ »

- « لا أريد أن تقابله .. »

وهنا دخل الخادم إلى الحديقة ليعلن ..

- « مستر (دوريان جراى) فى المرسم ياسيدى ! »

ضحك لورد (هنرى) وقال :

- « الآن عليك أن تقدمنى له .. »

نظر الرسام إلى صاحبه اللورد ، وقال له بعد ما صرف كبير الخدم :

- « إن (دوريان جراى) أعز أصدقائى .. إن له طبيعة لطيفة بسيطة .. فلا تحاول التأثير عليه أو إبهاره بمنصبك .. »

- « يالك من مخيف ! »

قالها اللورد باسمًا ، واقتاد (هولورد) من ذارعه عاتدين إلى المنزل ..

★ ★ ★

دخلا القاعة فرأيا (دوربان جرای) جالسا إلى
البيان وظهروا لهما ، وهو يقلب صفحات مجلد من
مؤلفات (شومان) هو (مشاهد الغابة) ..

صاح في حماس :

« يجب أن تقرضني هذه يا (باسيل) .. أريد تعلمها

إنها فاتنة .. »

« هذا يتوقف على جلوسك للرسم يا (دوربان) .. »

دار الشاب بمقعده ليواجههما قائلا :

« أوه .. قد سئمت الجلوس .. ولا أبقي صورة

لي بالحجم الطبيعي .. »

وهنا رأى اللورد فاحمر وجهه قليلاً .. وغغم :

« معذرة يا (باسيل) .. لم أدر أن لديك ضيقا

هائلا .. »

« هو لورد (هنري) .. صديق قديم من أيام

(أوكسفورد) .. كنت أحدثه عن جلوسك المنتظم

لرسم .. لكن هاتذا قد أفسدت كل شيء .. »

خطا لورد (هنري) للأمام وصافح الشاب قائلا :

« لكنك لم تفسد متعتي بلقائك .. قد حدثتني عمتي

عنيك .. أنت واحد من أصدقائها المفضلين وكذلك ..

يوسفني - واحد من ضحاياها »

تأمله لورد (هنري) ملياً .. نعم .. كان وسيماً حقاً

بعينه الزرقاوين الصريحتين وشعره الذهبي المجعد ..

وثمة شيء في وجهه يجعك تنق به على الفور .. كأن

هذا الفتى ظل في معزل عن أئام العالم .. فلا عجب

أن تبهر به (باسيل) ..

كان الرسام منهمكاً في خلط الألوان وإعداد فرشاته ..

وكان متوتراً إلى حد ما .. حين رفع عينيه ليقول للورد :

« (هنري) .. أريد إنهاء هذه الصورة اليوم ..

هل ترى من الوقاحة أن أسألك الرحيل الآن ؟ »

ابتسم لورد (هنري) ونظر إلى (دوربان) :

« هل أرحل يا مستر (جراي) ؟ »

« البتة يا لورد (هنري) .. إن (باسيل) يمر

ببعض لحظاته العصبية .. »

لكن لورد (هنري) أخذ قبعة وقفازيه وقال :

« أخشى أنه ينبغي أن أرحل حقاً .. فلدى موعد

مع رجل في (أورليانز) .. وداعاً مستر (جراي) ..

تعال لتلقاني يوماً ما في شارع (كورزون) .. إنني

أعود لأدري في الخامسة .. »

صاح (دوريان) :

- « (باسيل) .. لو رحل لورد (هنري) فسألحق به .. أنت لا تفتح فاك في أثناء الرسم .. وإنه ليثير مللى أن أقف طيلة الوقت صامتاً أحاول أن أبداً وسيماً .. أرجوك دعه يبق .. »

تساعل لورد (هنري) :

- « وماذا عن الرجل الذى ينتظرنى فى (أورليانز) ؟ »
ضحك الرسام وقال :

- « لن تكون ثمة مشكلة .. عد للجلوس يا (هنري) وأنت يا (دوريان) .. لا تتحرك كثيراً ولا تلق بالاً لما سيقول لورد (هنري) .. »

صعد (دوريان) درجتين إلى المقعد وجلس فوقه .. وأصدر آهة تأفف .. وراح الرسام يضع الألوان على اللوحة ..

- « أدر وجهك لليمين قليلاً يا (دوريان) كولد طيب .. »
ومر الوقت و (باسيل) منهمك فى الرسم بنمسته الجريئة المميزة .. ولم يعد يشعر بالصمت الذى ساد القاعة ..

هنا صاح (دوريان جراى) ..



كان الرسام منهمكاً فى خلط الألوان وإعداد فرشاته ..

- (باسيل) لقد سئمت الوقوف .. يجب أن أخرج وأجلس في الحديقة إن الهواء ثابت هنا .

- واعزيزى . أستمحك عذرا .. فحين أرسم لا أفكر فى شيء سواه . لكنك لم تجلس قط أفضل من هذا . وأعطينى التأثير الذى أردته ..

قال اللورد (هنرى) :

- إن الحر لشديد فى المرسى حقا .. فننقدم لك شيئا باردا نصوصه يا (باسيل) . وليكن به بعض الشليك .

- لكن يا (هنرى) أفرع الجرس واطلب من (سركر) ما ترصد . ما زال على أن أفرغ من هذه الحنفية . لا تؤخر (دوريان) كثيرا . فلم أكن قط فى مزاج أفضل ترسم . ستكون هذه تحفتى .

وخرج نورد (هنرى) إلى الحديقة . ليجد (دوريان) يتشمم فى نهم عبق زهور (النيلك) قال لنفسى فى تأمل :

- أنت محق . لا شيء يشفى الروح كالحواس ولا شيء يشفى الحواس كالروح
ثم قال لنفسى :

- أنت تملك الشيب . ويوما ما حين تشيخ وتتجعد بشرتك ويحرق الفكر جينك بمحرقة . ستشعر

بحسرة فقدان الشباب . إن لك وجهها قسيما يا (دوريان) .. لكن هل سيظل كذلك ؟ والحمال هبة غير عادية لأنها لا تحتاج إلى تفسير . مثلها كضوء الشمس والربيع .. إن نه استقلته الحاص المقدس تبسم ؟ .. حين تفقده لن تبسم . إن الزمن يغار منك وأطرافنا تتخاذل وحواسنا تتعفن فتتحلل إلى دمي قبيحة . تسكنها ذكرى مشاعر خفنا منها للشباب !
لا شيء فى الكون كالشباب !

راح (دوريان) يرمق (النيلك) شاحص البصر بذلك الاهتمام الذى نصفى به لأمور مهمة تفرغنا ثمة نحلة تنز هنا وهناك ..

وهنا ظهر الرسم . وأشار لهما كى يلحقا به . عاد الصديقان الحديدان إلى المرسى . وجلس (دوريان) يصفى لصوت احتكاك الفرشاة باللوحة ويشم رائحة الورود ..

توقف الرسم بعد ربع ساعة ليتأمل (دوريان) جراى ثم يتأمل الرسم .. وعرض على نهاية الفرشاة . ثم غمغم :

- « لقد انتهيت ! »

واتحنى ليكتب اسمه على الركن الأيسر السفلى من اللوحة ..

تفقد لورد (هنرى) الصورة . كانت تحفة حقًا
نهض الشاب بدوره ليرى . تأمنها . واحمر وجهه
غبطة . كان (هولورد) يحدثه لكنه لم يع حرفًا مما
يقال .. وللمرة الأولى بدا أنه يدرك مدى جماله
الخاص . وعرف أن الزمن سيمر هذا الجمال تنميرًا .
أحس بألم حاد يمزقه . وإلى عينيه تسربت
الدموع ..

سأله (هولورد) فى قلق غير فاهم لمر صمته :
- « ألم ترقى لك ؟ »

قال (دوريان) فى صوت خفيض :

- يا للحر ! ما أشيخ وأتجدد بينما تحتفظ هذه
الصورة بشبابها . لن تشيخ أبدًا عن هذا اليوم من
شهر (يونيو) لو كان هو يسعى أن أظل كما أنا
وتشيخ هذه الصورة بدلًا منى ! . إننى لأعطي كل
شء مقابل أمية كهذه . أعطى روى ذاتها !

ضحك لورد (هنرى) قتلًا :

- لا أظن هذا بصايقك يا (باسيل) .. إن هى إلا
خطوط على رسمك ..

قال (باسيل) :

- « أعترض على هذا بقوة .. »

نظر له (دوريان) مليًا ، وقال :

- . أنت تحب عملك وفنك أكثر مما تحب صديقك ..
وما أنا لك إلا تمثال من البرونز . موديل ..
لم يعد الرسام لهجة الغضب هذه من (دوريان) .
فماذا حدث ؟ ..

واصل الفتى الكلام الحلقى :

- كما قال لورد (هنرى) .. لن تهتم برسمى
ثانية فى اللحظة التى تظهر فيها أول تجعيدة على
جبينى .. إن الشباب هو القيمة الوحيدة فى الكون .
ويوم أدرك أننى أشيخ سأقتل نفسى ..

شحب الرسام وصاح ممسك ذراع (دوريان) :

- « أنفار من لوحة ؟ »

- أغار من كل جمال لا يقنى .. أغار من هذه
الصورة .. لماذا تحتفظ بما سوف أفقده أنا حتمًا ؟ كل
ثانية تمر تسلبنى شيئًا ولا تأخذ من هذه الصورة شيئًا
. لماذا رسمتني ؟ .. متجلب هذه الصورة السخرية
على يومًا ما ..

واحتشمت العبرات فى مقنتيه وهرع إلى الأريكة ،
ليدفن وجهه فى الطنافس وكأنه يصلى .
نظر الرسام إلى اللورد بمرارة وقال :

- « هذا فعلك .. كان ينبغي أن ترحل حين سألتك
هذا .. »

- بل بقيت حين طلبت منى ذلك .. «

- (هنرى) . أنا لا أستطيع الشجار مع أفضل صديقين لى فى ساعة واحدة ..

لكنكما جعلتمائى أمقت أفضل صورة رسمتها ..
ولسوف أحرقها . ١ . أنها مجرد قماش وأنوان ولن
أتركها تفسد صداقتنا .. «

كان بينكم وهو يبحث بين أنابيب الأنوان والفرش
ولمحه (دورين) حين رفع عينيه السامعتين .. عم
يبحث ؟ نعم . يبحث عن سكن المعجور الكبيرة .
كان يوشك على تمزيق القماش ..

وبوثة سريعة هرع الفتى لينزع السكين منه
ويلقيها بعيدا :

- لا تفعل يا (باسيل) لا تفعل هذا اغتيال !
عد للرسم هووه ، فقال فى برود وهو يتحنى عن
السكين :

- أنا مسرور أنك تقدر على أخيرا يا (دورين)
- أقدره " أنا مفتون به " أنه جزء من
روحي .. «

- حسن ما إن تجف ويتم وضع الطر لك ونرسلك
لدارك عدها بمكث عمل ما تشاء بنفسك

قال لورد (هنرى) فى هدوء :

- أنا لا أهوى المواقف الضخمة إلا على خشبة
المسرح . كل هذا الصراخ والتشنج يمكنكما إنهاء
الموقف بإعطائى اللوحة .. (باسيل) .. هذا الفتى
السخيف لا يريد اللوحة حق . أنا أريدها .

قال (دورين) :

- لن نسامحك يا (باسيل) أبدا لو فعلت . ولا تسمح
لأحد بأن يدعو فتى سخيفا .. «

قال (باسيل) :

- هى لك يا (دورين) . وهبتك إياها من قبل أن
توجد .. «

عادت الأمور إلى نصابها تدريجيا وحول أقذاح
النشأ تبادل الأصدقاء عبارات المزاح .. وهنا اقترح
النورد (هنرى) أن يدعو الرجلين إلى المسرح هذه
الليلة .. لكن الرسام اتصل من الدعوة لأن عليه
مصنوليات عديدة ..

وهكذا غادر (هنرى) و (دورين) المسرح ساركن
(باسيل) وحده .. يتأمل اللوحة وعلى وجهه تعبير
من الألم ..

★ ★ ★

في الثانية عشرة والنصف في اليوم التالي اتجه لورد (هنري) إلى دار عمه في (ألباني) . وهو شيخ عزب خشن الطباع نوعاً يعتبره الناس أنانياً لأنهم لا يحصلون على نفع ما منه . لكن للمجتمعات الراقية كانت تعتبره كريماً لأنه يطعم القوم الذين يسلونه . وكان قد درس بغاية ذلك الفن الأرستقراطي . في عدم عمل شيء على الإطلاق . ولم يكن ليلد أن ينحب رجلاً كهذا سوى (إنجلترا) وهو بدوره كان يردد دوم أن البلد ذاهبة إلى الكلاب .

حين دخل لورد (هنري) المكان وجد عمه جالساً يطلع (التايمز) فما إن راه عمه حتى سأله :

- هيه يا (هاري) ماذا بك مبكراً هكذا؟ حسبت أن الشباب الرقيق من أمثالك لا يصحون من النوم قبل الثانية ظهراً ولا يظهر للعيان قبل الخامسة »

- مجرد هوى عائلي يا عماه . أبغى شيئاً ما منك .. »

- طيف تبغى مالاً . إن شباب اليوم يحسبون المال هو كل شيء .. »

قال (هنري) وهو يفك أزرار معطفه :

- نعم .. وحين يكبرون في السن يعرفون أن المال هو كل شيء حقاً لكني لا أريد مالاً . فقط من يدفعون قواتيرهم هم من يحبون المال . إن الديون هي رأس مالي الذي أعيش منه .. ما أريده هو معلومة . معلومة غير مفيدة طبعا .. »

« صل ما تريد .. »

سأله (هنري) وهو يسترخي على المقعد :

- أريد معرفة من هو (دوريان جراي) إنه آخر أحفاد لورد (كيلسو) وأمه هي ليدى (مارجريت ليفورو) .. أريد أن تعطيني معلومات أكثر »

قطب العجوز وداعب شعر حاجبيه .

- أوه ! .. طبعا .. أنا أعرف أمه وحضرت نعيدها .. كانت فتاة فاتنة أثارت جنون الجميع حين فرت لتتزوج من تافه فقير مات بعدها في مبارزة ، كيف حال ابن هذه المرأة ؟ أتعلم أن يكون في يد أمينة لأن أباه وأمه تركا له ميراث ضخم . لكني لا أفهم تصرف هذه المرأة . كان يوسعها أن تتزوج أي شخص تريد في اللحظة التي تقرر فيها هذا .

ثم تصلب وضرب المائدة بقبضته :

- بمناسبة للزيجات السخيفة .. يقولون : إن (دارتمور)
سيتزوج امرأة أمريكية . ألا يجد في الإنجليزيات من
تناسبه ؟

- « إنها للموضة الآن يا عماء .. »

- « الأمريكيات لا يعمرن في البيوت . ومن هم
أهلها ؟ »

- الأمريكيات يخفين أهلهن بنفس البراعة التي
تخفي بها الإنجليزيات ماضيهن ' .

- « لابد أن أهلها يربون الخنازير .. »

- ليت هذا يكون صحيحاً يا عماء .. يقولون : إن
تربية الخنازير تحبب انثراء في أمريكا ..

- « وهل هي جميلة ؟ »

- « كل الأمريكيات يتصرفن كما لو كن جميلات ..
وهذا سر سحرهن . والان وداعاً يا عماء لا أريد

الساحر عن الغداء . شكراً على هذه المعلومات

- فنت لعمتك (أجاثا) أن تكف عن إزعاجي
بمشاريعها الخيرية .

- سأحبرها يا عماء . لكن لن يجدى هذا إن
محبى الشر على غرارها يفقدون كل إحساس بالإنسانية ..

وكلهم في هذا سواء ..

وغادر لورد (هنرى) المنزل قاصداً ميدان
(بيركلى) ..

دخل منزل عمته فناول قبضته وعصاه للخادم ، ثم
دلف إلى قاعة الطعام .. وجذب مقعداً ليجلس . رفع
عينيه فوجد (دوريان) عند طرف المائدة يحنى رأسه
له محيياً . وكانت الدوقة (هارلى) جالسة .. وجوارها
سير (توماس بيردن) نائب البرلمان المتطشرف .
وعلى الناحية الأخرى مستر (إرسكين تريدىلى) وهو
رجل مهذب مثقف لكنه صموت جداً ، لأنه - كما قال
للعمة (أجاثا) - قال كل ما يمكن قوله قبل أن يبلغ
الثلاثين من العمر ..

كانت المائدة ناجحة ، وتكفنت دعابات لورد
(هنرى) وأراؤه الثورية بإصفاء جو من التسلية
والإمتاع . حتى إن المستر (إرسكين) أصر على أن
يعطيه عنواته ليزوره فيما بعد . وشعرت الدوقة
بأنحازن لانهاء ميعاد الغداء سريعاً ..

كان (دورين) جالسا في حجرة المكتب في دار لورد (هنرى) . يتأمل الغرفة الجميلة بسقفها المصنوع من حشب البلوط وزخارفها . وسجاجيدها الفارسية السمينة . وكانت هناك منضدة صغيرة عليها تمثال صغير لـ (اقنيدس) وحواره رواية فرنسية محددة بعناية . . . وعلى رف المدفأة كانت أنية خزفية جميلة ..

لم يكن لورد (هنرى) قد جاء بعد ، فراح الفتى يقب في مثل صفحات كتاب وجده هناك . وفكر أكثر من مرة في الانصراف ..

سمع خطوة بالخارج وانفتح الباب . فهتف

- قد تأخرت كذاك أى (هارى) ؟

- « أخشى أننى لست هو .. »

كان هذا صوت امرأة وسرعان ما رأى من تدخل للمكتبة قائلة :

- أنا زوجته لابد أنك (دورين جراى) ..

كانت لها عينان من طراز (لاتنسى أبدا) .. وثبها غريبة جدا تبدو كأنها تم تصميمها في ثورة

كان هذا صوت امرأة .. وسرعان ما رأى
من تدخل للمكتبة

وتم ارتداؤها في عاصفة .. حاولت طوال حياتها أن
تبدو حسناء أنيقة لكنها لم تنجح قط اسمها هو
(فكتوريا) ..
قالت له :

- رأيتك انبازحة في الأوبرا في أثناء عرض
(لوهنجرين) أنا أحب موسيقى (فاجنر) .. إنها
عالية صاخبة تسمح لك بالحديث دون أن يسمع الآخرون
ما تقول ! .. إنها لمزية هائلة ..

وضحكت ضحكة عصبية منقطعة وأزيفت .
- أنا أعشق الموسيقى خاصة عزفي البيانو ..
يبدو لي أن السبب هو كونهم أحباب دائما ' إلا
تري هذا ' حتى من ولدوا منهم في إنجلترا يفقدون
أجانب بمرور الوقت ' لماذا لا تحضر إحدى حفلاتي
بمستر (جرای) ' إنها ممتعة دائما ' لكن هوذا
(هاری) ' (هاری) كنت أبحث عنك فوجدت
مستر (جرای) هنا ' كنا نثرثر عن الموسيقى .
ووجدنا أراينا متماثلة تمامًا ..

رفع لورد (هنري) حاجبيه المقوسين وابتسم :
- هذا يصرني يا حبيبتي يسرني معذرة على
تأخري يا (دوريان) «

حيتهما الزوجة بطريقتهن المتقطعة الغريبة ثم
انصرفت ..

اشعل لورد (هنري) سيجارا وألقى بنفسه على
الأريكة قللا :

- لا تتزوج امرأة شعرها بلون القش الأصفر
يا (دوريان) .. أبدا «
« ولماذا ؟ »

- لأن من شعرها بلون القش عاطفية جدا
.. لا أظن أنني سأزوج من أحدها يا (هاري) .
لكني أحبها كثيرا ..

- « ومن التي تحبها ؟ »
احمر وجه الفتى وغمغم :
- « ممثلة مسرح هي .. »
- « اسمها ؟ »

- « اسمها (ميبل فين) .. »
- « لم أسمع عنها قط .. »
- ثم يسمع أحد عنها لكنها عبقرية .

- يا بني لا توجد امرأة عبقرية النساء جنس
زخرفي لا أكثر ليس لديهن ما يقال لكنهن يقلن
بأسلوب مسحر إتهن يمثلن انتصار المادة على
الروح . كما يمثل الرجال انتصار العقل على الأخلاق .

« (هاري) ؟ كيف يومك أن ؟ »

- دعك من هذا وقل لي : أين قبتتها ؟ »

- سأخبرك لكن لا تكن عديم التعاطف هكذا ..

كنت ليلة شعرت فيها بالمثل والحاجة إلى التغيير ..

فخرجت أمشي في (لندن) الرمادية الغامضة - كما

تدعوها - حتى وجدت مسرحاً صغيراً بأسم وكان

هناك يهودي يشبع الحلقة ببيع التذاكر على الباب

فايتمعت واحدة ودخلت - ولو لم أفعل لفاتني أعظم

حب في حياتي .. أنت تضحك ! »

- لا اضحك منك . ولا تقل : إن هذا (أعظم

حب) بل هو (أول حب) في حياتي ..

- كان المسرح مروعاً غث الذوق من الداخل

الكل يلثم السندق والبائعات يطفن هن وهناك بالبرتقال

والجعة كان كل هذا مثيراً للكآبة وكدت أنصرف

حين سمعت (جرس) المسرح يذق .. هل تعرف أية

مسرحية كانت ؟ (روميو وجولييت) . في البدء

شعرت بشمزاز من أن أرى (شكسبير) يقدم في هذا

المكان المفرد ثم انفجح الصنار . كن كل شيء كما

توقعت .. لكن .. (جولييت) ! ..

تصوير (هاري) ثمة عمرها سبعة عشر عم

وحبها يشبه الزهرة وشعرها مجعد كشعر

الإغريقيات ونهش شفتي كورقني وردة كانت

أروع ما رأيت في حياتي وصوتها لم أسمع قط

صوتاً كهذا - بل لي كصوت ناي في العبابات .

كصوت الكروال في القصر . لماذا لا أهواها

ب (هاري) ؟ إنها من شيء في الحياة لي وليلة بعد

ليلة أذهب لأرى ممسها أراها في ليلة (روزيند)

وفي ليلة أخرى (المسرح) رأيتها تموت في مقبرة

إبضالة ورأيتها تسير في عتات (الفارين) رأيتها

في كل عصر وكل رى - هذا هو سحر التمثيلات الذي

يختلف عن المساء العتات حسرات شروهن . والنواقي

لا يتغيرن بدا - نعم - نعم - (هاري) أن التوحيدة

الحسيرة بتحب هي من نغمات ممسها !

- لاسي حسرة ممسها - هلا دولشي الثقاب من

فصمت - منكر - ما هي حدود علاقت بها ؟

ضع انفي سنقيه و حمر وحيه وصاح

- (هاري) ! - إن اسير هين (قدسية)

- لا بأس - هل تعرفها على الأقل ؟

- طبعاً .. لقد جاءنى اليهودى بشمع الخنقة بعد العرض ودعائى كى أتعرفها . لكننى رفضت فى عصبية لأن (حوليت) قد ماتت منذ مات السنين وجسدها يرقد فى تابوت رخامى فى (فيرونا) . لابد أنه حسبنى ثملاً لكنه وجدنى فى اليوم التالى أدخل مسرحه جعله هذا يوم من بأتنى أعشق فيه وفن فرقته حقاً . وفى الليلة سبعة كانت (سيل) تؤدى دور (روزالند) وتم استطع التحكم فى نفسى فرميت لها بعض الورود ورأتنى

- حسن وكيف كن سنوكها بعد ذلك ؟
- أوه كانت خجولة رفيقة شمة شىء فيها يسرك بصفق عيناها تتسعين دوما فى النهار . وهى غافلة تماماً عن مسرحها ..

كن اليهودى واقفاً على الباب يتكلم عنا نحن الاثنين . بينما أنا وهى صامتة تلاحظ النظرات . وادركت أنها حين تكلمت - لا تفقه شىء عن الحياة . كأنما هى تعيش على المسرح دوماً أنها طاهرة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ..

- اد ارى سبب تحدثك عن الغشاء معنى هذه الأيام ..

- لا أستطيع ألا أراها . أشعر بالحوق لتمثيلها الليلة ستكون (إيموجن) وغداً تعود (جوليت)
- « ومتى تكون (سيل فين) ؟ »
- « لا يحدث أبداً .. »
- « أهنتك ! »

- يا ناقسوتك ! .. إنها أكثر من امرأة عادية .. أريد أن تعلمنى كيف أجعلها تهوانى أريد أن يغار (روميو) منى . أريد أن يصحو الضيق الموتى على ضحكنا ويشعروا بالحسرة ..

كان يتكلم وهو يزرع العرقة جينة وذهباً كان متفعلاً حقاً وراقبه (هنرى) فى استمتاع . لشدة ما تبدل الفتى سريعاً ..

- « وماذا تريد أن تفعل ؟ »

- سنأتى معى و (بنسيل) لتتريا أداها . ثم نحررها من قبضة اليهودى الذى يحتكر تمثيلها لثلاثة أعوام .. سأدفع له مبلغ من ثمن . ثم أجد لها مسرحاً محترماً يقدمها لتعالم لتبهره كما بهرتنى

- « حسن .. ومتى هذا ؟ »

- « ليكن غداً .. الأربعاء .. الساعة والنصف قبل رفع الستار .. »

- يائه من موعد ' حسن و (بسميل) قل
له أن يأتي معنا ..

- ب لهذا العزير ' ان ثم ارد منذ اسبوع . لقد
ارسل لي زوجته مع انار راتب صمعه بنفسه . لقد
ذات اسم بثنوجة برعم كوني انار من أنها اليوم
اصغر من شهر . ريد كن عيت ان تدعوه بنفسك
فهو لا ينف عن اسمه التمتع لي

- ان (بسميل) يصع كن مازو فائق في شخصه
في بوحاته وبالكالي لا يفي نه هو نفسه شيء
ان انشائين ذوي الشخصنة الحداثة السيس قدسهم في
حياتي كانوا فمابين ريسين . انشائون الحيدون
يتوحدون في عملهم وبالكالي تحذهم ممير في
شخصهم واشاعر العظيم حفا هو اقل الناس
شاعرية في كلامه وحيته ..

هرا (دورين) ارسة وسكب بعض العطر من
شاوره رحمة على مسيه وفي

- على كن حرا لا تسمى عدا ودا
عما ان عدا العرشة حتى غلق نورد (هنري)
عنه رشت ثقبنة وراح بفكر . لقد اسعده غرام
في مؤيد . حسن انسى وانسمه نه اكثر تشويقا

وجارة بالتراسة ما أروع دراسة الحياة ' دراسة
منطق العاطفة المعقد وكيف يتخلى القلب عن العقل ..
إن الفتى من صنعه هو كلماته التي يسكنها في
مسمعه طوال الوقت جعلته يتحدث عن الحب قبل أن
ينوي مثليه ..

إن التجريب هو الوسيلة الوحيدة التي يثق بها
للحصول على حقائق غنية و (دورين جرای)
موضوع تجربة شائق . كل هذا الظاهر والبقاء بهم
حبا بعمثلة من الدرجة الثالثة حب هو التي الفضول
أقرب ..

وهنا قطعت عليه خواطره دقة على الباب كن
هناك من يذكره بأن يرتدى ثيابه لضاء .
وحين عاد إلى داره عند منتصف الليل ، وحده
برقية على مائدة الرواق . ففتحها فوجدها من
(دورين جرای) ..

لقد خطب الفتى (بسميل لين)

★ ★ ★

« أماء ! أماء ! .. ما أبعثني ! »

همست الفتاة ودفنت وحيها في حجر المرأة الشاحبة المنهكة الجائسة على المقعد الوحيد في غرفة الخلوس وضعت المرأة يدها التي ابيضت امامها على شعر الفتاة .. وقالت :

- أنا اسعد مثلك يا (سليل) حين اراك تمثلين لا تفكرين في شيء سوى التمثيل .. مستر (اسحق) طيب معنا وديننا بالمال

- « الحب أهم من المال يا أماء .. »

- بن خمسين جنيه لمبلغ كبير وانرجل متفهم حقاً .. »

قالت الفتاة وقد نهضت واتجهت للنافذة .. الحق أنه ليس رجلاً مهذباً لا أحب أسلوبه في الكلام معي

- « لا أدري كيف كنا سنعيش من دونه .. »

- لن نحتاج اليه بعد اليوم .. إن الأمير انوسيم

يعني بأمرنا من الآن

قالت .. وانفجرت زهرة ثغرها قليلاً وزفرت في انفعال .. واحمر خداه إثر زهرة تفتحت في دمه .. وببساطة همست :

- أنا أحبه !

تحدثت الحكمة ضامرة الشفتين من مقعدها البالي .. تحدثت من كتاب الحسن الذي ينتحل مؤلفه اسم (العقر) لكن الفتاة لم تصغ .. كانت حرة في سجن عاطفتها .. أرسلت روحها لتكتس عنه

وحيث تكلمت قالت :

- أماء لماذا يحبني بهذا الشكل ؟ أنا أعرف لماذا أحبه .. لأنه هو من ينبغي أن يكونه الحب ذاته .. لكن ماذا يرى في ؟ سي لا أستحقه .. أعرف هذا لكني لا أشعر بضعة بل بفخر .. »

ازداد وجه المرأة شحوباً تحت المساحيق التي تغلف وجهها وتقلصت شفتها الجافتان في ألم عتقتها (سليل) نفت ذراعها حول عنقها وشمته .. فقالت المرأة :

- يا طففتي أنت أصغر سناً من أن تتعنى في الحب ثم ماذا تعرفين عن هذا الشباب ؟ حتى اسمه .. الأمر كله غير مرض

- امدد مات «رجوك دعني أكن سعيدة !»
نظرت بها المرأة ثم - بحركة إيمائية مسرحية من
التي تصير طبيعية ثانية لدى الممثلين - احتضنتها
بين ذراعيها ..

هنا دخل العرفقة شاب محدد الشعر صخم الاطراف
كان واضحاً أنه لم يرب حداً مثل أخيه وبصعوبة
يمكنك ان تدرك القراءة بينهما نظرت له الام نظرة
موجية وتخللت انه جمهور من المشاهدين
وعرفت يقيناً ان المشهد المسرحي جيد فزاد
أداؤها افتعالا ..

كن (حمس) - وهذا اسمه - رحلاً الى (ستراليا)
ليحرب حظه لأنه كن يسمى ان ينقل لأمه وأخته المال
اندر بحديث الصعود الى حشوة المسرح من حديد
ولم كن هذا يومه الأخير في (سبن) فقد طلب
من (سبن) أن يخرج معه فئسة سرقة في الحديقة
هرعت الفداء لمرئى تلتها . فانخرط هو بآلاد يساتلها
عن هذا الشاب ابوسد الذي يحود حول راحته
- اريد منك ان تراقبي (سبيل) بعناية يا امدد .

«رجوك ..»

- أنت تعرف هذا .. لو كان هذا الشاب ثرياً فلا
أرى ما يمنع من أن يتقرب اليها .. أعتقد أنه من الطبقة
الأرستقراطية وهذا زواج مناسب لـ (سبيل) ..
هنا جاءت (سبيل) وقد تأهبت للخروج . فودع
الأم في فتور . فتم تشعر براحة من نظرتيه والصوت
الذي ودعها به ..

خرج الشاب وأخته الى ضوء الشمس الذي تعالشه
الريح . واتجها إلى (أوستون رود) وراح المارة
يرمقون في دهشة هذا الشاب المفير الضخم مبعثر
الثياب ، الذي يمشي مع حساء بارعة الحسن .. فكأنه
بمستلنى يمشى مع زهرة ..

ضايق هذا الفتى .. فهو يفت أن ينظر له الناس ..
ذلك الشعور الذي يعاينه الأذكىء دوماً
لكن (سبيل) لم تبد واعية بالآثر الذي يحدثه
حسنها . كانت تحلم بأمرها الجميل لكنها لا تتكلم
عنه . تتكلم عن السفينة التي سيركبها أخوها ..
وعن المال الذي سيجمعه .. وعن الوريثة الحسناء
التي سيقظها من هحوم قطع الطرق ثوى القمصان
الاحمرء .. لأنه لن يظل بحاراً أو سائق عربى . بل
سيودع ربان السفينة ويهبط إلى البر حيث يجد منجم

الذهب . وبعد أسبوع لا أكثر يعود حاملا قدرا مليئة
بالذهب يعود بها في عربة يحرسها ستة رجال
مدججين بالسلاح ولكن لا . لا داعي لمناسجهم
الذهب فائس يختفون هناك ويضربون بعضهم
بالرصاص في الحانات . ويقولون ألفاظا بذيئة ..
فليكن فلاح طيبا يقذ وريثة حسناء يخطفها لص على
صهوة حصاته . بالطبع سنهيم حبا به ويتزوجان ..
ويعودان الى (لندن) ليعيشا في بيت جميل .

عليه فقط ألا يتهور ولا يكف عن الصلاة إتيا
لا تكبره في السن لكنه تعرف كل شيء عن الحياة .
ظل الفتى يحسنى لثرائها صامت . كان انقلب
بغمرة عليها ..

وبكيسة راح يحذرهما من هذا الشب المائق الذي
يحوم حولها .. فهتفت :

- إن رويته تعنى أن تهيم حب به . وإن معرفته
تعنى أن تثق به أنت تتركنى يا (جيم) وأنا فى
أسعد وأعز أيام عمرى لقد كانت الحياة قاسية
عليك لكنها ستختلف أنت ذهابنى عالم جديد
كالذى وجبته أنا فعلا .. »



وبكيسة راح يحذرهما من هذا الشب المائق
الذى يحوم حولها ..

جلسا في الحديقة بين زهور (التوليب) المترافضة
كحفات النار .. راحت تمازحه وتداعبه لكنه ظل
ساهما . بعد قليل قال لها :

- تاكدي - مثما أنت متأكدة من وجود إله - أن
هذا الفتى لو ضايقت أو اذاك فسوف أقت به !
قالت له والشفقة في عينيها :

- أنت أحسق يا (جيم) . طفل سين الخلق
لا أكثر .. «

- إن أمي غير ذات نفع لا تعرف كيف تعني بك
ولكم أتمنى الا أسافر الى (أستراليا) وأتركك .
- « أنت لم تعرف الحب بعد .. »

وعادا بالحديقة إلى دارهما الحفيرة ، فودعته الفتاة
لأنها لابد أن تنام ساعنين قبل صعودها لخشبة
المسرح ..

أما هو فراح يتناول عشاءه آخر عشاء له في
داره بينما الأم تراقبه في صمت وتوتر

كان يكره السادة الأرستقراطيين ذوي الأصل
العريق لقد كان أبوه الذي تخنى عنه وأخته منهم
واليوم تتحدث أخته عن أميرها الجميل الذي هو سيد
أرستقراطي آخر ..

قالت الأم وقد فهمت مغلوته :

- إن (سبيل) لها أم .. أما أنا فلم يكن لي ..

لثمها الفتى معذرا وقد مست عبارتها قلبه :

- آسف لو كنت أملك .. يجب أن أنصرف الآن ..

وأكرر .. لو أذى هذا الرجل (سبيل) فلسوف أجده

وأقتله ككلب .. «

راق الموقف الميلودرامي للألم بم فيه من إيماءات

مسرحية وعبارات رنانة . شعرت أنها تندمج وكادت

تعلو بلاداتها لكن الفتى قطعها . كان عليه أن يحمل

حقائبه إلى العربة .. ويسوم السائق وهكذا ضاعت

هذه اللحظة في تفاصيل موقية ..

لكن الأم كانت تعرف أنها ستجد لحظات مسرحية

أمتع ، وهي تخبر (سبيل) أن الحيلة سزداد فقرا

وكابة .. وأنها لم تعد تملك سوى طفل واحد تربيته ،

بعد ما رحل ابنها بعيدا ..

فكرت في هذا وهي ترمق العربة تبعد

★ ★ ★

- أحسبك سمعت الأخبار يا (باسين) ؟

قالت لورد (هنرى) فى تلك الأمسية بينما (هولورد) يدخل المطعم ، حيث كان العشاء معدا على المائدة لثلاثة .

قال الرسام وهو ينال قبضته ومعطفه للخادم المنحنى

- لا يا (هنرى) أرجو ألا يكون شينا سياسيا .. فالسياسة لا تثير اهتمامى . لا يوجد شخص واحد فى مجلس العموم يستحق أن يرسم

قال لورد (هنرى) وهو يتأمله :

- « لقد خطب (دوريان جراى) »

حذق فيه (هو لورد) غير مصدق ثم قطب

- « مستحيل ! »

- بل هى الحقيقة . خطب ممثلة مغمورة .

- كنت أحسبه عبقلا حتى هذه اللحظة

- . حبيب يفعل الرجل شينا أحق تماما يكون هذا سخما عن دوافع نبيلة ، يبدو ان الصورة التى

رسمتها له قد جعلته يقدر جمال الآخرين . لسوف نرى الفتاة اللينة لو أن الصبى لم ينس مواعده مغا .
هنا يدخل الفتى .. فرمى معطفه وصافح صديقه مرلدا :

- واعزيزى (هارى) ! . واعزيزى (باسيل) ! ..
هناتى ! . لم أكن قط أسعد منى فى هذه اللحظة .
لقد حدث هذا فجأة ..

كان فى أوسم حالاته وقد احمرت وجنته اتفعالا ..
جنس الأصدقاء حول مائدة العشاء وراح الفتى يقول :

- البارحة بعد ما فركت يا (هارى) ذهبت إلى المسرح كدأبى ..

كانت (سيل) تلعب دور (روزالند) .. كم كانت فتنة لا توصف ! . وبعد العرض قصدها وحادثتها .
وجلسنا مغا . فى نهاية الجلسة كانت خطبتنا قد صارت حقيقة واقعة . لكنها سر لا تعرفه أمها ذاتها .

لا أدري ما سيقوله حارس تركتى لورد (رادلى)
لكنى دنوت من سن الممنونية القانونية وبعد ساقفل ما يروق لى . لقد وجدت زوجتى بين مسرحيت (شكسبير) والشفتان اللتان علمهم (شكسبير) الكلام قد همستا بسرهما فى معنى

جرع لورد (هنرى) الشمبانيا متاملاً .. وسأله :

- متى ذكرت لفظة (زواج) يا (دوريان) ؟ وبم
رنت الفتاة ؟

- يا عزيزى (هارى) .. لم يتم الأمر كصفقة
تجارية ولم أقدم لها عرضاً رسمياً . قلت : إتنى
أحبها فقالت : إنها لا تستحق أن تكون زوجتى .
غمغم لورد (هنرى) .

- النساء عملت حقاً . عمنيات أكثر منا بمراحل
فى مواقف كهذه لا نذكر نحن حرفاً عن الزواج لكنهن
يذكرننا به .. !

ضحك (دوريان) وقال :

- حين ترى (سيل) يا (هارى) ستؤمن بأن الرجل
الذى يؤثيها هو حيوان . حيوان بلا قلب . أريد أن
أضعها على عرش من ذهب ليعبد العالم تلك المرأة
التي هى لى . ما هو الزواج ؟ إنه قسم لا يحنث به .
أريد أن أقسم هذا القسم . نقتها بى تجعلنى مخلصاً
وايمانها بى يجعلنى طيباً .. وحين أكون معها أنسى
كل نظرياتك الخلابة الصامة ..

ثم تنهد وقال :

- « إتنى أهيم بها .. »

قال لورد (هنرى) وهو يبحث ببعض الفأكة

- هذا خير من أن تهيم هى بك . فهذا يغدو

مزعجاً . إن النساء يعاملن الرجال كأصنام يهمن

بهم ثم يضايقنهم طوال الوقت بمطالب لا تنتهى

غمغم الفتى بجدية .

- حين يطلبن منا أشياء فهن يقدمن لنا أشياء

أكثر . وممن قد زرعن الحب فى أرواحنا فمن

حقهن أن يطالبن بالمسترداد .. »

قال (لورد) :

- « هذا هو الصواب بعينه .. »

فقال لورد (هنرى) :

- لا شيء هو الصواب بعينه . إنها الساقى

هت لنا القهوة وبعض لفافات التبغ

قال (دوريان) وهو يتأمل م جنبه الساقى .

- هلمنا إلى المسرح لترب (سيل) . غده ستفهمان

معنى المثالية ..

★ ★ ★

لسبب ما كان المسرح مكتظاً تلك الليلة ، وقابلهم
المدير اليهودى البدين على الباب بانتسامة لزجة
ملأت وجهه .. واصطحبهم الى مقاعدهم فى تواضع
فخور ، وهو يلوح بصابعه السمينة المكتنزة
بالمجوهرات ، ويتكلم بأعلى صوته

بدا على (دوريان) أنه يشمنز منه حقاً لكن
لورد (هنرى) أحب الرجل على الفور كن الحر
خائفاً والعرق يغمر الوجوه . والناس الذين خضعوا
معانفهم يثرثرون بصوت عال ..

قال لورد (هنرى) :

- ياله من مكان تجد مثلك الاعنى فيه !

رد (دوريان) .

- نعم فقد وجدتها هـ وحين تمثل أنسى كل
شئ . وحتى هؤلاء القوم السوقيين ذوى الایماءات
الغظة يغدون شيئاً آخر حين تمثل هى إنها تجعلهم
يتجاوبون معها كوتار كمال يكون حين تبكى
ويضحكون حين تضحك ..

مر ربع ساعة من الضوضاء . ثم ظهرت (سيل
فين) على المسرح . نعم . كانت هى أجمل مخلوق
رأته عينا لورد (هنرى) بانقطع ثمة شئ خلاب
فى حياتها .. ومسحة حمرة كظل وردة فى مراة من
الفضة وهى ترمى الحشد ..

وكأن فى حنم ، جلس (دوريان جرای) يحدق فيها
صامتاً . أما لورد (هنرى) فراح يرمقها عبر منظره
المقرب مغفماً :

- « فاتنة ! .. فاتنة ! »

كن المشهد هو حديقة (كبيوليه) فى مسرحية
(روميو وجونيت) . وقد دخل (روميو) فى ثياب
الحجاج الى خشبة المسرح . وراح جمع من الممثلين
بثياب رخيصة سخيفة يرقصون بينما تحركت الفتاة
بينهم كأنها هى مخلوقة من عالم أسمر يداها من
العاج . ومنحنيت رقبتها كمنحنيت زهرة السوسن

لكنه حين قالت مقطعتها الأول من الشعر :

أيها الحاج الكريم ، إنك نتظلم يدك .

التي لم تزد على أن قدمت بهذا نسكا تقياً ..

فإن للنقديمات أيدياً تمسح أيدي الحجاج

ومس الراح للراح قبلة حاج ظاهر . . . *

كان أداؤه مفتعلا تماما .. صوتها كن عديم اللون
جرد الشعر من كل روح فيه .

ولم يجزو الرجلان عنى مصارحة (دوريان)
برأيهما . خب أمنهما بشئ مروع . وأدرك أن
الغدا لا تملك أية موهبة . لكن لينتظرا مشهد الشرفة
في الفصل الثاني لأنه هو أتمك لقياس موهبة أي
(جولييت) ..

وبالفعل كانت الفتاة فتنة حين برزت في ضوء
القمر . لكن مسرحية تمثيلها كانت لا تحتمل
إيماءاتها صناعية تماما . كأنما هي طائفة صغيرة تقوم
بالتسميع اسم أستاذ محفوظات غير محيد . كانت
فاشلة تمت

وبدا ملل الجمهور وصغيره يترايد . وبدأت
المحادثات الجانبية . فهنص (هنري) وارتدى معطفه .
وقال لـ (دوريان) :

- أيتها فتاة حميدة حق لكن لا علاقة لها بالتتمثيل ..
هلم ننصرف .. »

* نيت برجمة لاس . موسر طه حسين . - مسرحية
(رومي وجولييت) - دار المعارف - ١٩٦٠

قال الفتى في صوت مزير ..

- معاشاهد المسرحية بأكملها .. وإن كنت أعذر
لكما .. لا أعرف ماذا دهاها . تبدو لي باردة تماما .
تغيرت عما كنته بالأمس . لم تعد تلك الفنانة العظيمة
ولا أعرف السبب .. »

قال (هولورد) مخففا عنه :

- لا عليك يا (دوريان) . إن الحب لأكثر أهمية
من الفن .. »

قال لورد (هنري) :

- الحب والفن كلاهما ببساطة - نوع من التظاهر
ونكن دعنا لا نبقى أكثر يا (دوريان) ماذا بهم في
كل هذا ؟ . إن فنانك حسنة ولو كانت معرفتها بالحياة
تعدل معرفتها بالفن فبأنها خيرة سارة حقاً .. إن الناس
الجديرين بالمعرفة هم أولئك الذين يعرفون كل شيء
والذين لا يعرفون أي شيء . هلمنا نقصد النادي ..
لكن الفتى لم يرد . سأل الهمع من عينيه وأستند
رأسه للحائط . فلم يجد الرجلان مصصا من تركه
والانصراف احتراما لحزنه ..

وحين انتهت المسرحية - وسط الصفيير والتذمر -
هرع إلى الكواليس ليراها . كانت واقفة والنصر

يرتسم على ملامحها وعيناها تضيئان بنار متوهجة ..
سألته :

- هل كان أداتى شينا النيلة يا (دوريان) ؟
- مريفا .. ' .. هل أنت مريضة ؟ لقد كان هذا
أسوأ ما رأيت «

ابتسمت وبصوت موسيقى رنان نادته :

- « (دوريان) .. حسبك فهمت .. »
- « فهمت ماذا ؟ »

- قبل أن أعرفك كان التمثيل حياتى كانت
أفراح (بياتريس) هى أفراحى وأفراح (كوردين)
أفراحى والديكورات هى عالمى . ثم جئت أنت -
أيها الحب الجميل - لتحرر روحى من ربقها . وهنا
أدركت للمرة الأولى أن ضوء القمر على المسرح كان
صناعيا ، وأن كنيمات الحب التى أقولها لم أقفها أبدا بل
كتبها سواى . وأن الديكور موقى ركيك أنت جئت
لى شيئا أروع شيئا ليس انفن بالنقياس إليه سوى
انعكاس يا حسى ! يا حسى ! يا أميرى
الجميل ' لقد سمعت الجمهور يصفر استهجانا لكنى
قلت لىفسى : ماذا يعرف هؤلاء عن حب عظيم
كحبى " حدى بعيدا عن المسرح يا (دوريان) ..

أنا أمقه . يمكننى دوما أن أصطنع مالا أشعر به
لكنى لن أصطنع أبدا عاطفة يحرقنى لهيبها .. أنت
علمتني هذا كله .. «

ألقي بجسده على الأريكة وأبعد وجهه عنها . وغغم :
- « أنت قتلت حبنى .. ! »

نظرت له بدهشة . دنت منه وركعت على ركبتيها
أمامه .. ثم رفعت كفه ولمستها بشفتيها . لكنه ابتعد
عنها وارتجف ..

ثم إنه نهض قاصدا الباب صارخا :

- نعم قتلت حبنى كنت تحركين خيالى لكنك
الآن لن تحركى حتى فضولى . كنت أحبك لآنك فهمت
خيال الشعراء العظم ولأنك منحت ظلال الفن شكلا
وملمست أنت غيبة ضحلة . رباه ! .. كم كنت
محتونا حين هويتك ' لن أراك بعد اليوم ، ولن
أفكر فيك . ويائيتنى لم أرك قط . فمن دونك أنت
لا شيء سوى فتاة ذات وجه وسيم .

سحبت الفتاة وارتجفت . واحتبس الصوت فى
حلقها . دنت منه ولمست يده . لكنه أبعدا فى جنون :
- « لا تلمسينى ! »

صدرت منها أنة خفيفة وانقت بنفسها على قدميه .
وهمت :

- (دوريان) .. (دوريان) .. لا تتخل عنى .
 أنا أسفة إذ لم أود دوري جيداً . لكننى سأحاول ثانية ..
 أعدك بهذا .. كان هذا أقوى منى . لكننى سأكون
 أفضل فيما بعد .. أنا حقاً راغبة فى إرضائك . فلا
 تكن قاسياً معى لأنى أهواك بكل جوانحي
 وخنقتها نوبة من العبرات . فالتفت على نفسها
 كظير جريح . لكن (دوريان) راح يرمقها بعينه
 الجميلتين فى لامبالاة . ثمة شيء سخيى فى عواطف
 الناس الذين كف المرء عن حبهم . لهذا بدت له
 (سيل) ميلو درامية إلى حد يثير الازمزاز .
 ظنت تبكى فى صمت وامتدت يداها الصغيرتان
 أمامها كأنما تبحث عنه .. لكنه أدار وجهه واتصرف .
 إلى أين مشى ؟ لا يدرى .. فقط كان يمشى فى
 شوارع سيرة الإضاءة بين مكاري يترنحون كالقروود .
 ونسوة ينادينه بصوت خشن وضحكات رقيقة وسمع
 صرخات وسيلنا ..
 بعد جهد أدرك أنه الفجر . وأنه فى حديقة
 (كوفنت) .. ورائحة الهواء تعبق بالورود .
 فاستقل عربة إلى دله ..



بعد .. به .. هشة .. دست منه وركعت على ركبيها
 أمامه .. ثم رفعت كفه ولمستها بشفتيها ..

دخل إلى غرفة نومه ، وأدار مقبض الباب .. هنا وقعت عيناه على لوحة (باسيل) التي رسمها له . أصابته الدهشة .. فك زراً من أزرار ستارته ثم غطبه التردد فعاد يرمق الصورة من جديد

وهي الضوء المعتم المتسرب عبر الستائر ذات لون النقشدة ؛ بدا له كأنما اللوحة قد تغير نوعاً . يمكن للمرء أن يقول : إن هناك مسحة من القسوة على شفائه في الصورة . إن هذا الغريب .

مشى إلى النافذة وأزاح الستارة . فتسرب الفجر البراق ليفرق الحجرة . لكن مسحة القسوة في اللوحة ازدادت وضوحاً . كأنما هو يرمق وجهه في المرآة بعد اقتراف عمل شنيع ..

ما معنى هذا ؟ أحصر عدسة يتفحص بها النوحة .. بالتأكد لم يتخيل هذا . إن التعبير واضح . تذكر أمنيته التي قالها له (باسيل) في الرسم لقد تمنى أن تشيخ النوحة بدلاً منه ويحتفظ هو بنضارته . هل تحققت هذه الأمنية ؟ مستحيل . هذه الأشياء لا تحدث أبداً ..

ولكن هناك هذه القسوة حول ثغر الصورة . قسوة !

هل كان قاسياً حقاً ؟ .. لقد كان هذا خطأ الفتاة وليس خطأه هو ، لكن منظرها وهي عند قدميه تبكي جعله يشعر بندم ما .. لكم كان قاسياً معها .. ولكنه تعذب هو الآخر .. لقد عاش قروناً من الألم ودهورا من العذاب خلال الساعات الثلاث التي استغرقها العرض . ثم إن النساء يتحملن الأسى خيراً من الرجال .. وهن لا يقعن في الغرام إلا لحاجتهن إلى مشاهد تمثيلية ميلودرامية يشبعن فيها ألماً .

ولكن .. الصورة .. الصورة التي علمته كيف يعشق جماله .. فهل ستعلمه كيف يحترق روحه ؟ هل ستحمل هي وذر آثامه ؟

لا . لن يحدث هذا . سيعود له (سييل) . يستعطفها . يطلب منها أن تتزوجيه ويحاول أن يهواها . هذا واجبه .. لكم كان قاسياً مع البائسة . لكن الأمور ستعود كما كانت ..

أحضر متراً كبيراً دارى به الصورة كي لا يراها . وقف أمام النافذة يتنسم هواء الصباح الطازج .. وراح يردد اسم (سييل) مراراً وتكراراً .. وقد أحس أن الطيور فوق أشجارها المبللة بالندى تهمس بكل شيء عن (سييل) للزهور ..

★ ★ ★

كان الوقت قد جاوز الظهيرة حين صبحا من نومه ..
وبعد ما تسلل وصيفه على أطراف أصابعه مرارا ليرى
ما إذا كان يتحرك ، ويتساءل عن سر إغفاء سيده
حتى هذه الساعة المتأخرة ..

في النهاية نق الجرس فدخل الوصيف الحجرة
حاملة صينية من (السيفر) الصينى عليها قدح من
الشاي ، ورزمة من الخطابات . . . وأزاح الستائر
زيتونية اللون المصنوعة من الساتان ، وقال باسمًا :
- لقد نام السيد طويلا انها الواحدة والرابع
ظهرا .. «

هب الفتى مذعورا . لكم تأخر الوقت ! . نهض
وراح يطالع بريده .. كانت ذات الخطابات التي تحوى
دعوات للمساءلة وبرامج لأعمال الخير وما إلى
ذلك . ثمة فاتورة لطاخم حمام من طراز (لويس كينزى)
عليه أن يرسلها إلى الوصى على إرثه كي يسددها ..
إن هذا الوصى رجل من طراز عتيق ولن يفهم أبدا

أن - فى هذا العصر - تغدو الأشياء غير الضرورية
هى للضرورة ذاتها ..

جلس فى المكتبة يتناول إفطارا فرنسيا خفيفا على
مائدة وضعت له جوار النافذة المفتوحة .. كان الهواء
الدافئ محملا بالعطر . وحلقت نحلة حول حوض
الزهور أملهه .. فشعر بسعادة قصوى .

فجأة رأى الستار الذى دارى به للصورة .. وتصلب ..
هل كان كل هذا حقيقيا ؟ . هل تبدلت للصورة حقًا ؟
ليرى ذلك إذن .. كان الخادم قد جلب له القهوة
ولغافات التبغ . فأحس برغبة تحدوه إلى أن يسأله
للبقاء .. كان خلفا من اليقين ..

لكن للرجل غادر الغرفة فنهض (دوريان) ..
أشعل لفافة تبغ ووقف يتأمل الستار .. ما الذى يحدوه
إلى إزاحة الستار ؟ لو كان حقًا فبأنه لشىء مريع ..
ولو كان وهما فما جنوى التأكد منه ؟ .. لكن للحقيقة
مهما كانت مريرة خير من هذا الشك الشنيع .

أزاح الستار .. وعندها أدرك أنه لم يكن واهما .
لقد تغيرت الصورة ..

تراجع إلى الوراء ليجلس على الأريكة ، ويرمى
للصورة فى ذعر مريض ..

إذن فهذا الرسم يحدثه عن آثمه .. يمكن أن يكون هو دليله في فيافي الحياة كما يفعل التضمير ..

ثم يعد يدرى كيف يفكر . ولا ماذا يعمل .. فى النهاية ذهب إلى المكتب . فكتب خطاباً إلى حبيبته يطلب غفرانها ويتهم نفسه بالخبال . إنها متعة لوم النفس الشهيرة . حين نلوم أنفسنا نشعر أنه ما من أحد سوانا يستحق أن ينومنا . إن ما يمنحنا الخلاص هو الاعتراف وليس النفس الذى نعتزف أمامه . وهكذا حين فرغ (دوريان) من الكتابة كان قد غفر لنفسه ذنوبه ..

هنا سمع فرغات على الباب . وصوت لورد (هنرى) يطلب الدخول . وما إن دخل الرجل حتى قال .
- أنا أسف يا (دوريان) . ولكن لا يجب أن تفكر فيما حدث كثيراً ..

- « تعنى (سيل) ؟ »

- نعم . - وخنق قماريه ببطء وجلس . لكن الأمر لم يكن خطأك . لقد قبلتها بعد المسرحية طبعاً .. وتشاجرت معها ..

- كنت متوحشاً يا (هارى) .. لكنى الآن خير حالاً ..
سأترجها !

نظر له اللورد فى دهشة .. ووقف متسائلاً :

- « تتزوجها ؟ .. لكن يا (دوريان) ... »

- نعم يا (هارى) . أنا متأكد من أنك ستتذكر رأياً مروعاً فى الزواج .. فلا تقلها . لقد طلبت يدها منذ يومين ولن أترجع ..

نظر اللورد عاجزاً عن قول شيء .. ثم هتف :

- « إذن لم تعظم بعد ؟ »

- « أعظم ماذا ؟ »

نهض اللورد ليغير الحجرة ويجلس أمام (دوريان) ، فيتناول يديه بين كفيه ويقول :

- (دوريان) - إهدأ قليلاً - لقد ماتت (سيل فين) !

صرخة ألم خرجت من شففى الفتى وهو ينهض محرراً بديه :

- ماتت ؟ (سيل) ماتت ؟ هذا ليس حقاً ! كيف

تجرو ؟

- للأسف هذا صحيح . . . قال اللورد بجديّة -

كل هذا فى صحف الصباح . سيكون هناك تحقيق ولا أريد لاسمك أن يقحم فى كل هذا . إن هذه الأشياء

تجعلك (موضة) فى (باريس) .. لكنها هنا فى (لندن) فضيحة . هل يعرفون اسمك فى المسرح ؟

لم يجب (دوريان) . كانت شفاته ترتجفان
والرعب يجتاحه :

- (هارى) . هل قلت (تحقيق) ؟ هل (سيل) ؟
لا أتحمل هذا يا (هارى) لكن تكلم سريفا ..
قال لورد (هنرى) :

- أنا واثق من أن الأمر لم يكن حادثا وجنوها
فى غرفة الشباب ميتة . ابتلعت مادة ما تستعمل فى
المسارح . لا أعرف كسبها لكنها بالقطع تحوى الرصاص
الأبيض أو حمض (البروسيك) .

صرخ الفتى :

- « (هارى) ! هذا شنيع ! »

- نعم هذا شنيع لكن عليك ألا ترج بنفسك فى
هذا أريد منك أن تأتى للعشاء معى ثم تذهب إلى
الأوبرا يمكنك أن تحضر فى مقصورة أختى ..
لسوف تكون معها بعض النسوة الجذابات ..

لم يرد (دوريان) .. بل هتف :

- إن أب قتلت (سيل) كأننى نبحت عنقها
الصغير بسكين و مرغم هذا لم يقل جمال الزهور .
ونم تكف السلايز عن انقضاء فى حديقى .. كم أن

الحياة مأساة ! . والخطاب الذى كتبته .. أول خطاب
حب أكتبه لا مرأة فى حياتى هو خطاب لفتاة ميتة ..
أتراهم يحسون يا (هارى) ؟ أولئك القوم الصامتون
لشاحبون الذين نسميهم موتى ؟ أشعر يا (هارى)
أو تسمع ما أقول ؟ كانت كل شىء لى .. والآن ولت ..
ومعها ولت آخر فرصة لى كى أستقيم ..

قال اللورد بطريقته الباردة التحليلية :

- ثمة فتاة قتلت نفسها من أجل حبك . أتمنى لو
كنت لى تجربة مماثلة .. إن السماء اللواتى همن بى -
ولسن كثيرات - أصررن على الحياة طويلا بعد ما كفت
وكفن عن الشعور بالحب .. إنهن يعزين أنفسهن
برتداء ألوان عاطفية . لا تثق بامرأة ترتدى اللون
البنفسجى فى أى سن . ولا تثق بامرأة تجاوزت
الخامسة والثلاثين وتضع شرائط وردية فى شعرها .
معنى هذا أن لها ماضيا .. ولكن (سيل فين)
تختلف .. إن موتها يجعلنى أعيد النظر فى كل ما كنت
أنهكم عليه . الرومانسية - الحب - الهوى ..

ثم أردف وهو يشعل سيجارا بعلة ثقاب مذهبة :

- إن الفتاة لم تعش حقا قط .. لهذا هى لم تمت
قط . يمكنك أن تتحب على (أوفيليا) أو تضع

التراب فوق رأسك بسبب خنق (كورديليا) لكن
لا تذرف دموعاً على (سبيل) . إنها أقل وجوداً حقيقياً
من كل بطلات (شكسبير) اللواتى لعبت دورهن .
كان المساء يبدو . ودون جلبة وبقدمين من فضة
زحفت الظلال من الحديقة .

لقد نجحت كلمات لورد (هنرى) فى تهدئة زعر
الفتى وتوتره ..

فى النهاية قال (دوريان) :

- سأذهب الى الأوبرا لكننى لن أكل شيئاً .
ما هو رقم مقصورة أختك ؟ ..

- سبعة وعشرون ستراه على الباب مع
اسمها .. «

وشكره (دوريان) فى حرارة قلباً إنه خير صديق
له . فرد هذا :

- ما زلنا فى بداية صداقتنا يا (دوريان) . تذكر
أن (باتى) تقضى فى الأوبرا هذه الليلة .

فما إن أنصرف اللورد حتى هرع (دوريان) نافذ
النصير ليزيح الستار عن الصورة . لا .. لم يحدث
تبدل جديد . لا ب أن خطوط انفسوة التى تحيط بالفم
ظهرت فى ذات اللحظة التى تجرعت فيها الفتاة المعم ..
ليت بوسعها أن يرى التغير أمام عينيه

مسكينة (سبيل) ! ما أروعها من قصة رومانسية !
كيف لعبت هذا المشهد الأخير المروع ؟ هل لعبته قبل
الموت ؟ لن يفكر فى هذا سيفكر فيها كشخصية
عظيمة ظهرت على مسرح الحياة لتظهر روعة الحب
العظمى .. ولنسوف ينسى وجهها الطفولى الذى تخلت
عنه فى تهور ..

إن صورته ستلعب دور المرأة المسحورة . لن
تظهر وجهه بل ستظهر روحه ولنسوف تتجعد
الصورة وتضممر لكنه سيظل بنضرتة ذاتها . ولن
يفقد زهرة من زهور صباه ..
وهكذا أعلا تغطية اللوحة ..

وبعد ساعة كن جالساً فى (الأوبرا) جوار اللورد
(هنرى) ..

★ ★ ★

بينما كان يتناول الإفطار فى الصباح التالى : ظهر
(باسيل هولورد) ..

قال الرسام فى حزن :

- سرنى أن وجدتكم يا (دوريان) . جنت البارحة
فقالوا لى : إنك فى الأوبرا . بالطبع عرفت أن هذا
مستحيل .. وقصيت ليلة مفزعة أتوقع فيها أن تتبع
الملساة ملساة أخرى .. قرأت الحادث بالمصادفة فى
جريدة (جنوب) وجدتها فى السلاى . إنك لن تتصور
كم تحطم فواذى لهول ما جرى . ولكن أين كنت أنت ؟
هل ذهبت لتلقى أم الفتاة ؟ كدت الحق بك لكنى لم
أرد إقحام نفسى فى حزن لا أستطيع تخفيفه .. مسكينة
تلك للمرأة ! .. ماذا قالت لك ؟

غمغم (دوريان) وهو يرشف النبيذ من كأس من
الزجاج الغينيسى مذهب الحافة :

- كيف لى أن أعرف ؟ لقد كنت فى الأوبرا بالفعل ..
كان يجب أن تكون معنا هناك . لقد قابلت ليدى
(جويندولين) أخت (هارى) ، وهى امرأة فاتنة .

وغنت (بلى) كما لم تغن من قبل .. والآن دعنا
لا نتكلم عن الأمور السيئة .. فالمرء إن لم يتكلم عن
شئ فلا وجود لهذا الشئ »

قال الرسام ببطء . وقد بدا ألم ما فى صوته :

- .. أنت ذهبت إلى الأوبرا ؟ .. ذهبت إليها بينما
(سيلفين) ترقد فى مشرحة ما ؟ تتحدث عن فتاة
للنساء و (سيل) لم تعرف بعد ظلمات القبر وسكونه ؟
- كف يا (باسيل) ! ما قد فات قد مات ..
- (دوريان) ! .. هذا مريع .. شئ ما قد غيرك
تماماً .. ما زلت تبدو ذات الشباب الوسيم الذى كنت
أجد فيه أكثر الشباب طهراً فى هذا العالم . اليوم
تتحدث كأنمالا عاطفة فيك وهذا تأثير (هارى)
الضار عليك ..

صاح (دوريان) :

- إن القوم الضحليين فحسب هم من يحتاجون إلى
أعوام كي يتخلصوا من عاطفة إنما الإنسان سيد
نفسه هو من يستطيع أن ينهى حزناً بالسهولة التى
يخلق فيها مسرة .. لن أكون عبداً لعواطفى .. بل
أريد أن أحكمها . أن أستمع بهى .

لم يستطع الرسام أن يوجه مزيداً من النوم للفتى ..
لربم كانت لامبالاته هي نتيجة للصدمة .. فما زال
فى الفتى كثير من الطيبة والتبل .

بعد قليل تساعل :

- وهل الشرطة لا تعرف اسمك ؟ لا أريد أن
تقحمك فى الأمر .. »

- إن الفتاة لم تذكره قط كانت تسمينى ندى
أمرتها بـ (الأمير الجميل) وقد كان هذا لطيف
منها .. »

هنا نصب الرسام ونظر إلى الستار الذى يدارى
النوحة .. وصاح .

- هل داريته ؟ إن هذا المهين كنت أشعر من
البدء أن الغرفة مختلفة لماذا أحفيت خير عمل لى
هكذا ؟ »

واتجه فى عصبية تجاه النوحة .. لكن (دوريان)
وثب ليقف بين الرسام والستار وصرخ فى هلع
وقد شحبت لونه :

- بسيل (لا أريد أن تنظر لها !)

تساعل الرسام ضاحكاً :

- لا تنظر الى نوحى ؟ لا يمكن أن تكون جاداً ..



واتجه فى عصبية تجاه النوحة لكن (دوريان)
وثب ليقف بين الرسام والستار ..

- لو حاولت يا (باسيل) فلسوف تنتهي صداقتنا
أبدًا .. وأقسم بشرفي !

ضرب البرق (باسيل) .. فظفر بذهول إلى
(دوريان) لم ير انفسى غصينا بهذا الشكر من قبل ..
كن يرتحف انفعالا

قال الرسام ببرود وهو يتعد عن اللوحة قاصدا
النافذة :

- حسن لكنى لا أرى سببا محترما يمنعنى من
روية لوحتى ، التى كنت ساعرضها فى (باريس)
الخريف القادم انها بحاجة إلى طبقة ورنيش ،
- « تعرضها ؟ .. تعرضها ؟ »

- نعم فى معرض خاص بى فى (رودى سيز) .
ما دمت تصع لوحتى وراء ستار فلا أهلك ستفتقدها
كثيرا ..

مرر (دوريان) كفه على حينه ليريل العرق .
وهتف :

- نكك قنت ، إنك لن تعرضها ابدا فنتها مرارا .
دعا الرسام إلى الجنوس وقتل له :
- عندما رسمت هذه اللوحة شعرت بأنك فيها
حقا وأن روحى قد تركت بصماتها عني حتى إنها

تفضح ذاتى .. إن الفن قلما يعبر عن الفنان .. لكن
هذه الصورة عبرت عني حتى صرت أخجل من أن
يراها الناس .. ثم إن اللوحة انتقلت إلى حوزتك ..
فبدلت لشعر بأتنى كنت أحمق حين ظننت أنها تحوى
الكثير من روحى .. وخطر لى أن أعرضها فى
(باريس) .. لكننى الآن أوافقك على رفضك لهذا ..
وإننى لأفضل أن أخسر لوحة على أن أخسر صديقا ..
ثم إن الرسام ودعه . واعتذر على إلحاحه .

مسكين (باسيل) ما أقل ما يعطى !
تهد (دوريان) وقرع الجرس . إن الصورة يجب
أن تدارى بأى ثمن .. كان من الحمق منه أن يترك
اللوحة فى غرفة يصل إليها لصدقوه .. ويدخلوها .



حين دخل الخادم تأمله (دورين) متسائلاً
أليكون قد حاول النظر خلف الستار ؟ أشعل (دورين)
لفافة تبغ وظل يرمق وجه الخادم الجامد الذي
ينتظر الأوامر . كلا . لا داعي للخوف منه ..

طلب منه أن يستدعي مديرة المنزل وجاءت المرأة
العجوز فطلب منها أن تعطيه مفتاح غرفة الدراسة .
- لكن الغرفة مهملية منذ خمس سنوات . منذ
توفي جدي . ولستوف تكسوك حياوط العناكب لو
دخلتها .. لا بد من أن أنظفها أولاً .

امتصص (دورين) حين ذكر اسم جده بما يحمله
من ذكريات سيئة لكنه كرر الأمر للمرأة فناولته
المفتاح مترددة ..

حين خرجت المرأة ، دس المفتاح في جيبه ..
وبحث في الحجرة حتى استقرت عينه على غطاء من
الساتان الأزرقواني قطعة من تحف القرن السابع
عشر وجدها جده في (بولوت) .. لا بد أنها متصلة
ليغلف بها الشيء . كانت يوم ما غطاء للموتى
اليوم تصلح غطاء لمن تعفنت روحه . لنا من

النوحة ونزع عنها الغطاء . لم تكن قد تغيرت .
ما زال الشعر ذهيب والعين زرقاوين والشفقان
الورديتان كما هما .. لكن التعبير قد تغير . المزيد
من القسوة على الوجه .. إن روحه تبرز له من وراء
الستار تدعوه إلى المحاكمة ..

غطى النوحة بغطاء الساتان إذ سمع قرعة على
الباب .

صوت الخادم يقول :

- « إتهم ها هنا يا سيدي .. »

ومن الباب دخل (هوبارد) صانع الاطارات الشهير .
ومعه مساعد خشن المظهر . كان (هوبارد) شاباً
محتقن الوجه يتعامل مع الفنانين بكثرة .

- ماذا بوسعني أن أقدم لك يا مستر (جراي) ؟

قالها وفرك يديه للسمينتين ..

- لم أكن أريد أن أتعبك يا مستر (هوبارد) ..

كل ما هناك أن لدى لوحة أريد نقلها إلى الطابق
العلوي . وهي ثقيلة جداً لذا أردت أن أقترض رجلين
من رجالك ..

وأشار إلى اللوحة .. وقال :

- هي ذى .. أريد نقلها مغطاة . فلا ابقي لها أن

تخدش في أثناء النقل «

وافق (هوبارد) وتعاون مع مساعده على فك
النوحة من السلاسل النحاسية التي كانت معلقة منها ..
ثم بدأ الصعود في الدرج .. وبرغم احتجاج مستر
(هوبارد) الذي يمقت ككل التجار أن يرى أحد السادة
يمارس عملاً مفيذاً ، فإن (دوريان) وضع يديه على
للنوحة ليعلن الرجلين ..

قال الشاب وقد وصلوا إلى الغرفة :

- « حقاً هي ثقيلة يا سيدي .. »

فتح (دوريان) الباب . باب الغرفة التي سيخفي فيها
سر روحه عن العيون . الغرفة التي لعب فيها طفلاً ودرس
فيها مراهقاً . كم يتذكر كل هذا .. طفولته الوحيدة
تعود لذاكرته كتبه لعبه النوحات على الجدار ..
هت لن يرى أحد النوحة حتى هو .. لماذا يرى
التخريب المخيف لروحه ؟ لماذا يرى وقع الممنين
والآثام على هذا الوجه ؟

تسائل (هوبارد) في قلبه :

- أنت أن ترى هذه التحفة يا سيدي ؟

نظر له (دوريان) .. وكاد يثب ليخنق الرجل
لو جرف على نزع الستار ..

- « لا .. لن تروى لك .. »

وشكرهما طلباً منهما للرحيل ..

وحين تلاشى صوت أقدامهما ، أغلق (دوريان)
الباب بالمفتاح ، ووضع هذا في جيبه .
عاد إلى المكتبة ليجد أن الساعة تجاوزت الخامسة .
وأن الشاي قد وضع على المائدة الصغيرة .. وكان
هناك خطاب من لورد (هنري) وكتاب رث الحال قليلاً
مجلد بلون أصفر . وجريدة (الجازيت) .

صب لنفسه الشاي مفكراً . إن اختفاء اللوحة
سيثير فضول الخدم . من يدري ؟ لربم وجده ذات
ليلة يحاول اقتحام الغرفة بالطابق العلوي ليشتبع
فضوله . إن هذا مريع . لكم سمع عن خدم ابتزوا
مدينتهم بعدما قرعوا خطاباً . أو سمعوا محادثة أو
وجدوا زهرة تحت وسادة ..

فتح الجريدة ليتصفحها فوجد خبراً في الصفحة
الخامسة يقول :

التحقيق بخصوص ممثلة . قام المشرع الشرعي
مستر (دابني) بتشريح جثة ممثلة شابة تدعى
(سيلفين) .. كان موتها قد أثار شهرة انتحار قوية ..
وقد كانت أم الفقيدة منهاراً تماماً في أثناء استجوابها .
عبس وجهه ومزق الجريدة إرباً . يا لقبح هذا
الأمر كله ! ثم تناول الكتاب الذي عرف أن لورد
(هنري) قد أرسله إليه ليقرأه ..

تمدد على الأريكة وراح يقب الأوراق . وسرعان
 ما غاب وسطها . كان هذا أعجب كتاب قرأه في
 حياته . شيء لم يحلم بها تتضح أمام عينيه لحظة
 ف لحظة . كان يدور حول رجل باريسى من القرن
 التاسع عشر يحاول أن يعيش كل شهوات وأفكار
 العرون العليرة . وقد كتب الكتاب بأسلوب رفيع مجدول
 كسلاسل الذهب بقم أفضل فنانى المدرسة الرمزية
 الفرنسية . وراح يتقلب بين اثروى التصوفية العليا
 وأعمق للغرائز الآدمية ..
 لقد كان كتابا سائما ..

وحاء المساء فتم بعد قادرا على مواصلة القراءة .
 وأخيرا جاء الخادم ليذكره بموعد العشاء . فنهض
 ليرتدى ثيابه ..

وفى النادى كان لورد (هنرى) جالس ينتظره وقد
 بدا عليه القلق .. فقال له معتبرا .

- اسف لتحرى . لكن كتابك قد فتنى .. لم يرق
 لى لكنه فتنى . هناك فارق كبير بين الكنعمتين

غمغم لورد (هنرى) وهو ينهض معه لدخول قاعة
 الطعام

- اه ! أنت كذلك لاحظت هذا الفرق

★ ★ ★

ولاعوام طوال لم يستطع (دوريان جراى) أن
 يتحرر من تأثير هذا الكتاب ..

أو - ربما - لم يحاول قط أن يتحرر منه .

وغدا بطل الكتاب الباريسى الذى جمع بشكل غريب
 بين الرومانسية والأسلوب العلمى . هو القدوة التى
 تحرك حياة (دوريان) .. كان الكتاب يحوى قصة
 حياته هو من قبل أن يعيشها ..

لكن (دوريان) كان يختلف عن بطل القصة فهو
 لم يكن يهاب المرايا التى يرى فيها وجهه . لقد ظل
 محتفظا بحمالة الخلاب الذى يبهج الجميع وحتى
 من بدعوا يسمعون عن أعماله الشريرة . ويتحدثون
 عن أسلوب حياته الغريب حتى هؤلاء كانوا يكذبون
 كل ما يسمون إليه حين يرونه .

كان يبدو دوما كإنسان لم يلوثه هذا العالم مجرد
 وجوده كان يعيد إلى أذهان الناس الطهر الذى فقدوه
 وعندما كان يعود لداره بعد إحدى جولاته الغامضة
 التى تثير الأقاويل . كان يصعد إلى الطابق العلوى

فيفتح الغرفة الموصدة . ويقف أمام النوحة وقد
وضع مرآة بجوارها . ويرمق الشرر والشيخوخة
الذين زحفا على النوحة . ثم يرمق الوجه للخص
الأسفر الذي يبادله النظر من وراء المرآة . عندها
يجعله التناقض الحاد يبتسم . ويرداد إدراك لجماله
الخاص .. وإدراكا لخراب روحه ..

كان قد غدا نجم المجتمعات . وغدت ثيابه المبهرجة
الحديثة (موضة) في حد ذاتها في أسية (لندن) ..
كما أنه راح يطالع الأدب بنهم . فصارت ثقافته مزاجا
من التصوف والدقة العنمية . وكان له اهتمام خاص
باراء (داروين) في ألمانيا . وأشهر بدور الملاة -
على شكل عصا أو حلبة مخ - في السيطرة على
الروح ..

لكن نظريات الحياة لم تثر اهتمامه كما لثارت الحياة
ذاتها . راح يدرس الحواس . العطور وصنعها ،
وراح يحرق الريوت الشرقية ويفكر في أنه ما من
حانة عقلية لا تعبر عنها العطور رائحة الجذور
ورائحة الصبار .. ورائحة البنفسج . ورائحة زهر
البرتقال

أحيانا كان يدرس الموسيقى . فكان يؤلف مقطوعات
عجبية كأنما يرقص حولها انفجر أو يقرع الزنوج لها
طبولهم .. واقتنى آلات موسيقية غريبة من حضارات
غابرة ومن أرجاء الأرض ..

نفرة ما اهتم بالأحجار الكريمة ، وظهر في حفل
أقامه أدميرال فرنسا وهو يرتدى ثوبا عليه خمسمائة
وستون نونوة . ولقد قضى الساعات يصنف مجموعاته
ويقرأ كل شيء عنها . ويضعها في علب مخملية ..
ومر صيف بعد صيف . وردت لوالى الرعب قصة
عارها . لكنه لم يتغير . لم يات شتاء يبدل وجهه أو
يفسد نضارته ..

الكنوز النادرة تتراكم في صناديق في داره . وفي
غرفة الصبا حيث علق الصورة ليتأمنها بمفرده .
ويرى فيها التحلل الحقيقي الذي بدأ يظن على
ملامحه . كان ينساها لأسابيع ثم يتذكر فيصعد ليراها .
يشعر بالاشمزاز منها .. ثم يشعر بالتفرد - وهو
جزء من جاذبية الاثام - ويبتسم في مرور ساخرا من
الرسم القبيح الذي يحمل ذنب خطايه هو ..
كان يخشى طوال الوقت أن يقتحم أحد الغرفة ،
ولكم ترك أصدقاءه في مسراتهم التي تبهر الناس

يبنّخها ليهرع إلى داره ليتيقن من أن الباب مغلق
بإحكام ، والصورة ما زالت هناك ..

كانت الأقاويل تحيط به في المجتمعات . وكانت
هناك تساؤلات لدى النساء حول سحره غير العادي ..
وجماله الذي يبدو أنيقا . لكن المجتمعات المتحضرة
لا تصدق أي حرف يقال عن الأثرياء بارعي الجمال .
وتعتقد أن السنوك المتحضر يكفي عوضا عن الأخلاق
التقليدية .. وفي مجتمعات كهذه يصعب إقناع الناس
أن من قدم لهم عشاء متواضعا أو سقاهم شرابا رديئا
هو شخص نزيه في حياته الخاصة ..

وراح (دورين) يتساءل عن الفهم للضاحك للامسان ،
لدى أولئك الذين يعتبرون العقل الباطن شيئا بسيطا
دائما موثوقا به ..

كان يؤمن بالانسان حيوات عديدة وأحاسيس
عديدة مخلوق غامض يحوى بداخله تركت لاستهوى
من العواطف والآلام

★ ★ ★

- ١٢ -

كان هذا هو اليوم التاسع من (نوفمبر) . عيد
ميلاده الثامن والثلاثين كما تكرر فيما بعد ..
كان عاندا بعد العشاء - الحادية عشرة مساء - من
دار لورد (هنري) ، وقد تدثر في الفراء لأن الليل
كان باردا ضبابيا .. عند ركن ميدان (جروزيينور)
مر به رجل في انظلام يجيد السير رافعا ياقة معطفه
لأعلى .. وفي يده حقيبة تعرفه (دورين) على
الفور . كان هذا هو (باسيل) الرسام أحسن بخوف
لم يستطع تفسيره وابتعد متجها نحو داره .
نكن الرسام راه ، وسمعه يركض نحو .. وأمسك
بذراعه :

- (دورين) ' أي حظ ! . انتظرتك في دارك
منذ الساعة نكنك لم تأت . ان ذاهب إلى (باريس)
الليلة وأرئت لفيك قبل أن أرحل . ألم تعرفني ؟
- أفي هذا الصيب يا (باسيل) ؟ كدت لا أميز
ميدان (جروزيينور) ذاته يوسفني رحيلك لكني
متيقن من عولتك ؟ »

- « سأغيب عن البلاد ستة أشهر .. وأريد أن أخبرك بشيء .. »

قال (دوريان) وهو يصعد في درج منزله ويفتح القفل :

- هذا سيسرني . ولكن أئن يؤخرك هذا عن الفطار ؟

- بالتأكيد . ما زال أمامي جبل من الوقت .. ودخل الرجلان إلى المكتبة حيث كانت النار مشتعة في المدفأة وشرع (دوريان) يقدم لصاحبه اشربة للممزوج بالصودا .. ثم سأله :

- ترى ماذا هناك ؟ أرجو ألا يكون الموضوع متعلقاً بي . فقد سمعت نفسي هذه الليلة ..

بصوته العميق الهادئ قال الرسام .
.. إنه عنك . لن يستغرق هذا أكثر من نصف ساعة ..

ثم أرفف :

- هذا نصالحك . أظن من حقك أن تعلم أن أبشع الأشياء يقال عنك في (لندن) ..

- هذا لا يهمني . أحب أن أعرف فضائح الآخرين ، لكنني لا أعيد بمعرفة فضائحي . فهي تفكر إلى الجدة ..

- لكن (الجنتمان) الحقيقي لا يحب أن يتكلم

الناس عنه كثير من منحل .. بالطبع إن لديك مركزك الاجتماعي وثروتك .. لكنهما ليسا كل شيء . أنا لا أصدق ما يقال .. فالخطيئة ترسم نفسها على وجه صاحبها .. ولا توجد خطيئة سرية .. لهذا حين أبصر وجهك البريء النقي أوقن ألا صحة لما يقال عنك .. ولكن .. لماذا يقولون هذه الأشياء عنك ؟ ولماذا يغادر رجل مثل دوق (بيرويك) غرفة النادى حين تدخلها أنت ؟ ولماذا لا يدعوك كثير من سادة المجتمع إلى ديارهم ؟ ولماذا يقولون إنه على أية فتاة محترمة ألا تتواجد في مكان أنت فيه ؟

صاح (دوريان) محققاً وهو يعض شفته :

- كفاك يا (باسيل) كلاماً عن أمور تجهلها ..

تقول لماذا يغادر دوق (بيرويك) القاعة ؟ لأنني أعرف كل شيء عن حياته وليس لأنه هو من يعرف كل شيء عن حياتي . هذه هي إنجلترا .. حيث ينتقد الناس بعضهم لمجرد التظاهر بأنهم أرقى طبقة ومحتشداً ..

إنجلترا يا عزيزي هي وطن النفاق ..
صرخ (هولرود) :

- لكن احتراسية لهذا لربك أن تكون جيداً ..

لكن بوسع المرء الحكم عليك من رفاقك . لقد فقدوا كل احساس بالشرف أو الخير أو النقاء .. ثم - ماهو أسوأ - أنا أعرف علاقتك الحميمة بـ (هارى) .. ولهذا السبب وحده ما كان يجب أن تلوث اسم شقيقته ..

- « حذار يا (باسيل) .. لا تتملأ .. ! »

- حين عرفت ان لم تكن هناك وصمة أو شبهة إشاعة حولها . والان هي توجد امرأة مهذبة واحدة فى (لندن) تجرؤ على المشى معها فى الحديقة ؟ وماذا عن منزلك الريفى ؟ الذى يحرق فيه ؟ ولماذا يراك الكثيرون تعاد الحانات القذرة وأوكار الرذيلة فى آخر الليل ؟ كل هذا يقال أسمى ولا أدري صحته .. كيف أعلم ؟ لابد لى من أن أرى روحك كى أدرك الحق من الباطل !

- « ترى روحى ؟ »

قالتا (دوريان) بصوت حفيض وهو يجلس على الأريكة . وقد اسض وجهه هففا فرد (هولورد) بصوت محزون :

- نعم لكن الله وحده يقدر على ذلك .

أمسك (دوريان) بمصباح . وابتسم ابتسامة مريرة . وقال :

- سترى هذه النيلة عمل يديك لماذا لا تراه ؟ لسوف تخبر العالم كله عن ذلك لكن أحدا لن يصدقك .. تعال معى .. أنت تحدث كثيرا عن الفساد والاحلال . والآن ستلقاهما وجها لوجه ..

كان ثمة فخر فى كل لفظة قالتها . سرور وحشى غمره حين عرف أن هناك من سيشاركه سره . وأن من رسم صورته سيعتنى طوال عمره وزر ما فعل وابتسم .. وفى قسوة قال :

- هلم إلى الطابق العلوى إن لدى مفكرة دونت فيها حياتى يوماً فيوما . ولسوف أريكها إن أنت جئت معى ..

- ساتى بـ (دوريان) قد فقدت قطارى ولم يعد ما يدعو للعجنة . لكنى أريد اجابة واضحة : هل ما يقال عنك حقيقة ؟

- إذن تعال .. وأعدك بأنك لن تقرأ طويلاً فى مفكرتى هذه ..

بدأ الصعود .. المصباح يلقي ظلالاً خيالية على
جدران الدرج . وريح بعيدة تجعل إحدى النوافذ
تقفز ..

وتناول (دوربان) المفتاح وأولجه في القفل ..
وملأ بصوت خفيض :

- مصر على المعرفة يا (باسيل) ؟

- « نعم .. »

- هذا يسرني - وبصوت خشن وإبتسامة

أضاف - فأنت الرجل الوحيد في العائم الذي يمكنه
أن يعرف كل شيء عنى .. »

دخل الغرفة - فهب تيار بارد من الهواء عليهما .
وازداد وهج المصباح فغلق (نوربان) الباب وراءهما ..
لم يكن شيء في الحجرة يوحي بأن هناك من دخلها
منذ أعوام كل شيء يقمره القبار رائحة عطن
رطبة ..

- أزع هذا الستار أى (باسيل) لتري روحى ..

توقف (باسيل) متردداً غير فاهم . فمذ (دوربان)

بده ليزيح الستار وينقيه حاتبا . صرخة دعر خرجت

من شفتى الرسام حين رأى فى الضوء الخافت ذلك
الوجه المربع على القماش . شئ ما فى تعبير الوجه
ملأه تفرزا واشمزازا يا رباة ! . إن هذا هو وجه
(دوريان جراى) ..

مارا بعض الجمال باق فى الرسم .. ولكن من
أفسد اللوحة هكذا ؟ مد يده إلى شمع صغيرة فأشعلها
وقربها من الركن الأيسر السفلى ليحد اسمه مكنونا
هناك ..

هذه دعاية سمجة ! هذه ليست لوحته لكنها
هى ! دمه يستحيل فى ثوان من السر الى الجثث .
ماذا حدث ؟ استدار الى (دوريان) عذرا عن النطق
غارقا فى عرق بارده ..

كان انفتى صامت يرقبه وعن وجهه تعبير من
بشاهد مسرحية رائعة لا حزن ولا فرح .. فقط
حماس المشاهدين

قال (دوريان) وهو يتشمم - او يتظاهر بذلك -
زهرة لتزعها من باقة مئوته :

- منذ اعوام كنت انا صيدا قذبتنى وعلمتنى
معنى وسامتى ثم قدمت لى صديق شرح لى روعة
النسب . هل تمنيت أمنية مجنونة فى لحظة بعينها ..

- مستحيل .. إن هذه الغرفة رطبية وقد أحدثت
انطحاتب تأثيرا كيميائيا فى الأصباغ . مما أدى إلى .
ألم تقر لى : إنك دمرت اللوحة ؟

- كنت مخطئا .. اللوحة هى التى دمرتى ..

- أنا لم أرسم هذا .. هذا وجه مسخ ..

- « هذا وجه روحى .. »

جلس الرسام عنى مقعد هناك . ودفن وجهه بين
كفيه ..

ومن حيث وقف (دوريان) عند النافذة ، تعالى
صوت نهنية ..

كان يشعر بمقت لـ (باسيل) لم يمقت أحدا فى
حياته كما مقت (باسيل) الان . أحاسيس الحيوان
المطارد تتحرك فى داخله ..

ورأى شيئا يلتمع فى الظلام . مسكين نسيها فى
هذه الغرفة من سنين . مشى بببطء نحوها .
وأمسكها ..

كان (هولورد) يحاول الهوض حين انقض عليه
(باسيل) ، وغرس المسكين فى الثوريد الضخم المار
خلف الأذن - وراح يطعن - ويطعن

صوت أنين .. والصوت المفزع لشخص يشرق
بالدماء .. ثم همد الجسد ، وراح شيء ما يتساقط إلى
الأرض ..

وقف في الظلام يصغى صوت النقطات تتساقط ..
تتساقط .. فتح الباب وغادر الغرفة . فلم يكن ثمة
أحد بالخارج ..

عاد ليدخلها ويفلقها على نفسه بالتمفتاح من الداخل
الرجل ما زال جالساً على مقعده . ولولا الخط
الأحمر في العنق لبدأ لمن يراه كأنه نائم .

كيف تم هذا بسرعة ! . لقد ولى الرجل الذي رسم
الصورة . وهذا كاف بالنسبة له . أعاد فتح الباب
وأخرج المصباح حتى لا يفنقه الخادم . هبط في
الدرج وخشب الأرضية بصراً ..

المعطف والنقبة ما زالوا في غرفة المكتب . يجب
إخفاؤهما . ثم يمكن حرقهما فيما بعد

إن القوم يشفقون في احترا يومياً - شهرياً - سنوياً
جزاء على فعلته هذه . لقد دنا النجم الأحمر من
الأرض فأصابه الهوس . لكن من يظن بما فعله ؟
الخدم متغيبون ووصيفه غاف الآن . وكل من يعرف
(بسيل) يعرف أنه مسافر إلى (باريس) هذه الليلة

بالذات .. وكل للناس يعلمون أن (بسيل) يتغيب طويلاً
بلا تفسير .

ثم إنه ارتدى معطفه وقبعته وغادر الدار .. أغلق
الباب برفق خلفه . ثم قرع الجرس .. وبعد خمس
دقائق ظهر وصيفه بثياب النوم والنعاس يغالبه ..
قال (دوربان) :

- معذرة لإيقاظك أي (فرانميس) .. نسيت
مفتاحي .. كم للساعة الآن ؟

نظر الرجل للساعة ورمش بعينه :
- الثانية وعشر دقائق بعد منتصف الليل ..
- . ياله من وقت متأخر ! .. تذكر أن توقظني في
التاسعة . هل زارني أحد الليلة ؟

- مستر (هولرود) ياسيدي .. مكث حتى الحادية
عشرة ثم تصرف .. وقال إنه سيكتب لك من (باريس) ..
- لا بأس . والان اذهب ونم ..

ثم خلع (دوربان) معطفه وقبعته ودخل إلى المكتبة .
ومن أحد الرفوف أخذ دليل الضالين وراح يقلب
الأوراق حتى وجد الرجل الذي يريده :

آلان كامبل - ١٥٢ - هيرتفورد ستريت - ماي فير .

★ ★ ★

وإن ظهر اسمه مرة أو مرتين في المجلات العلمية
مقرونا بتجارب غريبة ..

هذا هو الرجل الذي يحتاج إليه (دوريان) الآن .
لكن متى يعود الخادم ؟ وهنا انفتح الباب ودخل الأخير
يعتبه أن مستر (كامبل) ها هنا ..

تنفس (دوريان) الصعداء . وعاد الدم إلى خديه .
« دعه يدخل يا (فرائسيس) .. »

وجاء (الآن) .. كان رجلاً شاحبا زاه من شحوبه
شعره الفخم وحاجباه الكثن فما إن حياه (دوريان)
حتى قال :

« ما كنت أرغب في دخول دارك لكن قلت .
إنها مسألة حياة أو موت .. »

قلتها وألقى يديه في حبيى معطفه الاستراخان معلنا
عدم رغبته في المصافحة دعه (دوريان) للحلوس .
ففعل .. والتقت عينا الرجلين ..

مال (دوريان) للأمام وقال وهو يرمق وجه الرجل :
« (الآن) في غرفة بالطابق العلوى يوجد رجل
ميت ميت منذ عشر ساعات لا ترمقنى كذا !
لا تسألنى من هو ؟ »

ولا كيف مات ؟ ولا لماذا مات ؟ أنت الرجل
القادر على إنقاذى .. فأنت عالم تفقه فى الكيمياء .

فى التاسعة صباحا دخل الخادم غرفته حاملا قدحا
من الشيكولاتة .. كان (دوريان) نائم فى سلام وقد
توسد يده اليمنى . فبدأ كطفل أنهكه النهو اضطرب
الرجل إلى أن يهزه مرتين ليوقظه فهض من
نعاس طويل بلا احلام . وراح يرشف الشيكولاتة
وقد بدأ يتذكر ما حدث بالأمس . نهض ليرتدى ثيابه
بعناية كعادته . موليا اهتماما كبيرا بربطة العنق
ودوس انوشاح وجلس بشهية ينتهم إفطاره

ثم إنه جلس ليكتب خطابين طنب من الخادم أن
يحمل أحدهم إلى ١٥٢ (هيرتفورد ستريت) .

وظففى ينتظر قدوم الرجل كاتا صيقيين لا يفترقان
منذ خمسة أعوام وكان (الآن كامبل) شانا بارغا
وان كان لا يتذوق الفنون البصرية ولا يحب الشعر
لكنه كان يحب النغم وقضى وقتا طويلا فى معامل
(كامبردج) ثم قبل (دوريان) فى إحدى حفلات
(روستمانين) فى دار السيدة (بركشير) . وجمعت
الموسيقا بين روجيهما ..

ثم بدأ (كامبل) يتغير وصار يتجنب (دوريان)
دون سبب واضح وتضاءل اهتمامه بالموسيقا .

ويمكنك أن تدمر هذا الجسد الثميت .. بحيث لا يبقى منه شيء . إن الشرطة لن تبحث عنه قبل شهر . وعندها لا أريد أن تجد منه سوى رماد منثور في الهواء ...
قال الرجل :

- أنت مخبول . لا أريد - سواء أكان ما كنت حقاً أم زيفاً - أن أدمج في شئون حياتك فأبقى أسرارك المربعة لك لأنها لا تثير اهتمامي ..
- « كان لتجاراً يا (آلان) .. »
- يسعدني أن أعرف هذا لكن من جعله ينتحر ؟ ! »

- « إذن ترفض معاونتي ؟ »
- لا أعيا بأي عار يصيبك من جراء هذا كيف تحرق على طلب شيء كهذا مني " يبدو أن صاحبك اللورد (هنري) قد نسي أن يعينك تقيم الناس ضمن ما علمك ولقد اخترت للرجل غير المناسب بالتأكيد
- (آلان) أنا مذعور وأتوسل إليك .. هب هذه تجربة علمية تقوم بها . وهب أنك لا تعرف شيئاً عن موضوعها ثم إن هناك نقطة قد تهتك . ثمّة خطاب كتبته إلى شخص معين .. وسوف أرسله مالم تساعدي . لا أحب هذا لكنك لم تترك لي الخيار .. وعاملتني كما لم يحرق مخلوق على معاملتي من قبل »

شعب وجه (آلان) ولرتم في مقعده ، وداهمه الغثين . كانت الساعة تدق فوق المدفة كأنها تقسم الزمن إلى ذرات منفصلة من الألم ثمّة حنقة من القوادة تضيق حول جبهته .

في النهاية قال بعد تردد :
- « ليكن . هل هناك نار في تلك الحجرة بالطابق العلوي ؟ »
- نعم

- « أريد أن أجد أشياء من داري .. »
- لا أكتب ما تريد على ورقة وسوف يحجب لك خلقي ما تريد »

خط (آلان) بعض سطور على ورقة يرسلها لمساعدته . فقرأ (دورين) ورقة بعسة ثم استدعى خدمه هو وطلب منه أن يجلبها له ..

مرت عشر دقائق من التفتت والسرقت ، ثم عاد الرجل حاملاً صندوق من الحطب مسكاً بمئذنته . فسأل (دورين) (آلان) :

- كم من الوقت تستغرق تحركاتي (آلان) ؟
قالت في لا مبالاة وهواء . كن وحوذ تلك في الحجرة وهبه شجاعة غير عادية ..
- « خمس ساعات .. »

.. اذن يمكنك إمضاء الأمسية كم تريد
يا (فرنسيس) . فليسوف اتول عثملى حارج الدار

ثم انه اصطحب (الآن) إلى الغرفة الرهيبة بالطابق
العلوى . لم يكن يسوى محول الغرفة لكنه لمح
الصورة معلقة في موضعها . لقد نسي ان يغطيها
بالأمس . ما سر هذا اللون الأحمر المريع على
اليدين وكان قماش النوحة يشرف دم ؟ كم ان هذا
مرعب ! مرعب أكثر من الشيء الذي يجلس على
المصعدة دون حراك حيث تركه بالأمس

هكذا اضطر الى ان يدخل الحجره فيعيد الغطاء الى
الصورة . ثم غادر المكان دون ان ينظر حوله ترك
العالم يقوم بعمله الرهيب

وشى الساعة مساء جاءد (كامل) كان مسحب
لكنه هادئ تماماً ... وقال :

.. قد قمت بما طئت منى والآن وداع لا اريد
أن أراك ثانية ..

قال (دوريان) :

.. قد أتقتنى من الممر بـ (الآن) . ونحن انسى هذا

وصعد إلى الحجره ..

كست رائحة حمص شبريك الحانقة تفعم الحو

لكن سىء الذى كان حاتم على المنضدة قد احتفى

★ ★ ★

في التهمة وانصف مساء دخل إلى غرفة الرسم
انحصه بالثدي (نارورو) يقوده حشد من الخدم
المنحنيين

اتحنى ينثم كف مضيقته محمولا تجاهل الاعصاب
النبضة ألما في جهته . في الواقع لم يكن يوسع
من يراه ليثبتها ان يصدق انه قد اجتاز مأساة مروعة
منذ ساعت . وحتى هو تساءل في سره : هل حقا
عرف من يدعى (باسيل هولورد) ؟

كان الحقل الذى تقمه ليدى (نارورو) العدوز
مملأ حقا . لكنه شعر بسرور حين علم ان (هنرى
وتون) مدعو لهذا الحقل . هذا عزاء كف . وحين
سمع صوت (هنرى) المميز بعدد اعتذارا غير
صادق لكنه جذاب عن تأخره ، شعر بان منته يتلاشى

لكنه لم يستطع ان يمس طرف واحدا من العشاء .
برغم نوم العصيفة له على (الهانة) ادولف الذى اعد
الفتمة خصيصا من احلك . لكنه راح يجرع
(الشمبانيا) في نهيم وبظلمة متزايدة ..

كن (هنرى) يرمقه فى اهتمام . وفى النهاية
سأله :

- (دوريان) ماذا هناك ؟ تبدو متعكر المزاج
تماماً .. »

قلت للبدى ضاحكة :

- أظن أن (دوريان) يرغب فى أن يتزوج ..
ولسوف أجد له زوجة مناسبة »

قال لورد (هنرى) بطريقة المتهكمة :

- كل رجال العصر لهم مستقر . وكل نسله
لهن ماض ؟

ثم إنه استدار لبسال (دوريان)

- لقد تركت فى الحادية عشرة أمر . فهل عدت
لدارك ؟

حدث فيه (دوريان) وقطب :

- لا . ثم عد لدارك فى الثالثة

- « أذهبت للتدريس ؟ »

- نعم . - ثم عرض عليه - أغنى .. لا ..
مشتبك فى الشارع . - تعسر . هذا تحقيق ؟ أنا
لا أحب تذكر ما أقطه .. »

هز لورد (هنرى) كتفيه :

- يا عزيزى أنت لست أنت النينة . ماذا قد دهاك ؟

- لا عليك .. أنا متوتر وعصبى . أبلغ اعتذارى

تبدى (ماربورو) .. أراك غداً . فانا عائد لدارى

وفى طريق العودة ضايقه أن الشعور بالذعر الذى
غالبه قد عاد إليه . لقد جعلته أسنة (هنرى)
العلبرة بفقد أعصابه ..

أغلق باب المكتب عليه فى داره وأحرق قبعة
ومعطف (باسيل) من حيث خاضهما والقدما فى
نيران المدفأة ..

١٠ مطر بارد ينهمر وتندت مصباح الدروب وراء
النضبات ومن بعض انحاء تصاعد صوت ضحك
مربع .. وفي اخرى تشاجر المسكاري ..
كان (سوربان) جالس في عربة الانجرة . وقعته
على وجهه يرمى عاز المينة العظيمة وراح
يتذكر كلمات لورد (هنري) .

- « لا شيء يشفى الروح سوى الحواس ولا شيء
يشفى الحواس سوى الروح .. »

كانت جحور المحدرات حيث يدخل الممنون الاثيون
تندى امام عينيه هناك حيث يتخلص القود من
ذكريات الخطايا القديمة بخطايا جديدة تمام

انهم ينشئ من السماء كحمحمه صفراء ومن
حين لحين تعطيه سحابة مشوهة والبخار يتصاعد
من منخري الحصان ..

كانت روحه حفا حنحة الى شفاء . لقد سال دم
برده ولم يعد العفران ممكن لكن التسيال متاح ..
وهو مرمع ان يسمى بهتم التكري كما ينهمر نملة
للمسح

الشوارع لا تنتهي . كاته نسيج عنكوت عملاق .
ونجح كلب في مكان ما . بينما راحت كلمات لورد
(هنري) تتردد في ذهنه . وبينما الحاحة الملحة الى
المخدر تحرق أحشاءه ..

وفي احد الاكواح الحفيرة كان ما يقفه وقاده
رجل خبيث المظهر الى ما وراء ستار هنا سمع
ضحكة قبيحة من الشفتين المصبوغين لاحدى
الغواني وبصوت خشن قالت وهي تشير اليه .

- « هي ذي صفقة الشيطان ! »
اجابها :

- « عليك اللعنة ! .. لا تسميني كذا .. »

- « انى تحب ان ادعوك بالامير الجميل »

هو توقف ذكره الاسم بشيء ما فخرج بفادر
المكن متعديا وتحت الامطر راح يفكر فى معنى
هذا مشكلة الحياة هي انك تبيع ثمن خطاياك
مرارا ان انقر لا يعنى دقائق حساباته مع الاسمان
بدا ..

كان يمشى فى الشوارع نضيفة سبية السمعة حين
شعر بمن يجذبه من الورا . وقيل ان يدافع عن
نفسه شعر بيد حننة تمسك حنجرته وتنبهته الى الحائط

بغاء أبعد اليدين عن حنجرته . وهنا سمع صوت
ممدس . ورأى لمعة ماسورة السلاح مصوبة إلى
رأسه .. ورجلاً قوياً يجلبه ..
قال لاهثاً :

- « ماذا تبقى ؟ »

- لا تتحرك .. لو تحركت لأطلقت الرصاص على
رأسك ..

- « أنت مجنون .. ماذا فعلت لك ؟ »

- أنت أفسدت حياة (سيل فين) و (سيل فين)
هي أختي . بخعت نفسها والذنب ذنبك . ولقد أقسمت
أن أقتلك .. لم أكن أملك أن أجد سبيلاً لك . لكنني
سمعت تلك الغاتية تدعوك (الأمير الجميل) وهو الاسم
الذي كانت (سيل) تدعوك به .. والان أطلب المظرة
من ربك ..

كاد (دوريان) يقىء من فرط الذعر .. وقال :

- لم أسمع عنها من قبل .. أنت مخبول ..

ولم يدرك ما يقول .. فقال الرجل :

- « على ركبتك ! » أمامك دقيقة واحدة للصلاة .

لا وقت لكى لآسى مسافر إلى الهند هذه الليلة . دقيقة
لا أكثر ..

وكان أن يدور من بسبه شعر بيد حشة تحس

حنجرته وتثبته إلى الخائط ..

فجأة خطرت فكرة (دوريان) فسأل الرجل :

- « منذ متى ماتت أختك ؟ »

- « ثمانى عشرة سنة .. »

- إذن قرب المصباح من وجهي وارث إلي ملياً .. »

تردد (حيمس فين) هنيهة . ثم قرب المصباح . وعلى اتوهم المراقص رأى وجه الرجل الذى أراد أن يقتله . وحها يحوى كن نضرة الصبا ونقاء الضباب .. لا يمكن أن يكون أكثر من عشرين عاماً . بل هو فى سن (سببر) حين ماتت . مستحيل أن يكون هو .

- رباد ! لقد كنت على وشك قتلك ..

تتهدد (دوريان) فى عمق وقال :

- كنت على وشك قتراف جريمة شنعاء يا صاحبي

ليكن هذا إنذاراً لك من محاولة الاتهام بيديك

غمغم الرجل :

- « سامحتني يا سيدى .. لقد خدعت .

- إذن ابعد هذا المسدس قبل أن تتورط فى المتاعب .

وسهوء استدار مبتعد تارك (فين) واقفا يرتجف

من راسه حتى قدميه . وهنا دنا ظل مسه ليدخل

دائرة الضوء . ووصف يد على ذراعه .. كانت يد

واحدة من نساء الحانة ..

قالت له بصوت كالفحيح :

- لم لم تقتله ؟ كان يجب أن تفعل .. فمعه نقود

كثيرة .. وهو سيئ كالصوء نفسه .. »

- لا أريد مالاً . أريد حياة .. حياة رجل فى الأربعين

من عمره الآن . أما هذا فهو الى النصية أقرب

ضحكت المرأة فى مرارة وقالت :

- صبي ! لقد كان هذا منذ سبعة عشر عاماً

حين صنع منى الأمير الجميل ما أت عليه ! وأقولها لك

لسام الله .. »

- « أنت كاذبة ! »

- فليصبنى الخرس إن كنت اكذب .. إنه أسوأ

خلق الله قطبة . يقولون : انه باع روحه للشيطان

ليحتفظ بوجهه مليحاً ..

- أنفسمين على هذا !

قالت بصوت خشن :

- « أقسم .. وإبنى لأخشاه كثيراً .. »

تركه وهرع إلى ركن الشارع . لكن (دوريان

جراى) كان قد اختفى . وحين التفت إلى النوراء

وجد أن المرأة اختفت بدورها ..

★ ★ ★

بعد أسبوع كان (دوربان جراي) جالساً في (رويال سيلبي) يثرثر مع دوقة (مونماوث) الحسناء . وكان زوجها معها . رجل في الستين من عمره صاحب الوجه ..

الدوقة تثرثر وتضحك وتتفرج شفها الحمراء وان عن ابتسامة لشيء همس به (دوربان) في مسمعها وعن كئيب جلس لورد (هنري) يرمقهما .. وبهذا بلغ عدد حضور الحفل اثني عشر ضيفاً

قال للدوقة لـ (دوربان) :

« إن زوجي يحب جمع الحشرات .. ربما تزوجني كنموذج جيد لفراشة جديدة .

قال (دوربان) ضاحكاً :

« عساه لا يثبت جسدي بالدبابيس .

« إن وصيقتي تفعل ذلك حين أضايقها .

تلحل (هنري) في المحادثة باراته للجريئة السخرة المميزة . فضحكت الدوقة كثيراً .. وسألت (دوربان) :

« هل توافق على آراء (هاري) يا (دوربان) ؟ »

« أنا أوافق (هاري) دوماً .. »

« حتى لو كان مخطئاً .. ؟ »

« (هاري) لا يخطئ أبداً .. ! »

ثم نهض (دوربان) لشأن ما .. وواصل (هاري) اثثرة مع الدوقة حين سمعا صوت سقطة . وهب الجميع مذعورين . وتصلبت الدوقة ، بينما هرع لورد (هنري) يعبر الغرفة ليجد (دوربان) راقداً على البلاط ووجهه منكفئ على الأرض ..

حملوه إلى أريكة وشرعوا يحاولون إفاقته . وأخيراً فتح عينيه ونظر لمن حوله مذهولاً . وراح يرتجف ..

قال لورد (هنري) :

« لقد أغشى عليك يا عزيزي . لابد أنك أنهكت نفسك .. سأخذك لدارك »

« لا . لا . لا » - قالها وهو ينهض - لا أريد أن أكون وحيداً .. »

ولم يدر أحد أنه رأى عبر زجاج القاعة - كمنديل أبيض - وجه (جيمس فين) يرمقه في اهتمام .

لم يبرح الدار في اليوم التالي ، بن مكث في حجرته
يرتجف هلعاً من الموت لكنه - في الوقت ذاته - غير
مكترث بالحياة

كان الشعور بالمطاردة يعذبه . وارتجف نصوت
الأوراق الجافة إذ تصطدم بزجاج النافذة . وحركة
الستائر مع الريح

لا بد أن خياله هو المسئول عما رآه .. لا يمكن
لنفسك أن يحوم حول دار مضيئه دون أن يراه
الخدم إن اخ (سيل) لم يعد لقتله . انه الآن في
طريقه الى الهند

ولكن يا نعدائه الخيال ' أية حياة هذه حين تطارده
أشباح ضميره وتهمس في أذنه وتوقفه بالتأمل
باردة إذ يحاول النوم

في النهاية ازمع أن يخرج ليحاول التحرر من
مخاوشه ذهب الى ندى الرماية كان السير (جيفر
كلوستون) شقيق السوقة واقف يخرج خرطوشين
فرغين من مسدسونه بنم بدت السماء كقدح مقنوب

من المعدن الأزرق . وطبقة رقيقة من الجليد تكسو
العشب .

وقف (جراي) يرمق المشهد شاعراً بمتعة الحياة
وأمامه رأى أرنب يربى يبرز من بين الشجيرات .
فثبت السير (جيفري) البندقية على كتفه لكن
شيئاً ما في حركات الأرنب سهر (دوريل) فصاح .
- « لا تقتله .. دعه يمشى ! »

- « يا للسخف ! »

وأطلق الرصاص عندها دوت صرختان من بين
الأشجار واحدة كانت صرخة الأرنب المريفة
والأخرى كانت صرخة إنسان شنيعة ..

صاح سير (جيفري) :

- يا للسماء ! لقد أصبت متسلاً يا له من
جحش إذا يمر امام مرمى النادق ' .. كفوا عن
الرماية !

وهرع الحرس إلى المكان فصاح في رئيسهم
بحق :

- لم لا تقومون بعملكم كما يجب ؟ لقد أفسدتم يومى
كله

ومن بين الأشجار خرج القوم يحننون جسداً آميماً ..
فلدار (دوريان) وجهه وقد شعر أن سوء الحظ
يلحقه أبداً ..

مرت لحظات بدت كدهر .. ثم شعر أن يداً توضع
على كتفه

قال لورد (هنري) :

« يجب أن تعلم أن الرماية قد أنفيت اليوم
يا (دوريان) .. »

« لبتها تنفى للأبد .. إن الأمر كله قبح فاس ..
هل الرجل .. »

« أحشى هذا لقد تنفى الخرطوش بالكامل في
صدره .. هم نعد للدار .. »

ودون كلمة أخرى مشياً عبر العمر بعد برهة
تهد الفتى وقال ..

« هذا فل سين يا (هاري) .. قال سين .. »

تساعل لورد (هنري) :

« ما هو ؟ .. اه .. تتكلم عن الحادث كما افترض .. »

هذا خط الرجل دون شك .. ولن يسبب لمسير (جيفري)
سوى بعض انحراف لا أكثر .. »

« أشعر كأنها نبوءة .. »

ضحك العجوز في سخرية :

« لا يوجد شيء اسمه فل سين أو تطير .. إن
انقر لا يرسل لنا نواياه أبداً .. انقر أحكم من هذا أو
أقوى .. ثم ما الذي يفتك وأنت الذي يمكنك كل شيء
في العالم ؟ »

« أن أتمنى مبادئة مكاني مع أي شخص آخر .. »

إن هذا الفلاح التصريح خير حالاً مني .. فالموت
لا يرهبني لكن قدومه هو ما يثير خوفاً

« تبدو نسي عصياً بشكل مروع هذه الأرام
ب (دوريان) وليتني اتهم السبب

ها جاءت الدوقة وقد بدا عليها الانزعاج مما فعله
أخوها .. وهب اعتذر (دوريان) لأنه مرهق وطلب

الانصحاب ..

انفت لورد (هنري) إلى الدوقة يسألها بعينين
ناعمتين :

« أنت تحبينه .. أليس كذلك ؟ »

لم تجب لوهنة ظنت ترمق المشهد أمامها ثم
قالت :

« ليتني أعرف .. »

« المعرفة تقتل .. إن الضباب هو ما يجعل الأشياء
تبدو ساحرة .. »

وفى التطبيق العلوى رقد (دوربان) على الأريكة .
والذعر يحتاج كل عضنة فى جسده لقد شعر أن
مصرع الفلاح هو نوءة بموته هو .. نادى خادمه ،
وطلب منه أن يحزم حقائبه لأنه سيفدر المدينة الليلة .
لن يقضى ليلة أخرى فى (سلبى رويال) إنه
مكان مشوم حيث يمشى الموت فى شمس نظهرة
هنا سمع قرعة على الباب . ودخل الوصيف
ليخبره أن ريس الحرس راغب فى رؤيته
ما إن دخل الرجل حتى أخرج (دوربان) دشت النسيك
من درج مكتبته وأمسك بقلم وقلم

- احسبك سمعت عن الحادث اموسف ي (تورستون) "

- « نعم يا سيدى .. »

- لو كان للرجل امرأة فلما راعب فى إرسال أى
مبلغ من المال لها .. »

- نحن لا نعرفه يا سيدى . نهذا حروك على
طلب مقابلتك .. »

- غريب ! وهل كان معه م يدن على
شخصه ؟ »

- لا يا سيدى . لكنه يبدو كبشار يملأ الوشم ذر عيه .
ومعه مسدس ذو ست طلقات .. »

اتصى (دوربان) إلى الامام وحملق فى الرجل ..
وسقط القلم من يده ..

أين الحثة " أريد رؤيتها سريفا "

وخلل ربع ساعة كان (دوربان) يركض بحواده
بحو الاسطبل الذى ترفد به الجثة والحجارة تتطير
تحت الحوافر ..

نقى النجم لأحد الرجال ثم هرع إلى داخل
الاسطبل . وفى ركن المكان كان هناك رجل راقده
يرتدى قميص خشنا وسروالا أزرق .. وثمة منديل
يفطى وجهه . وشمعة تتوهج حوار الجثة ..

بشار لأحد الخدم نكى يعرى الوجه . ففعلها الرجل .
وندت صيحة فرح من حلق الفتى . لقد كان القاتل

هو (جيمس فين) ..

طن يرمى الحشم بضع دقائق

وفى طريق العودة لداره سالت العبرات من عينيه
إته فى مأمن أخيرا ..

★ ★ ★

قال لورد (هنرى) وهو يغمس أصابعه فى
سلطانية نحاسية مملوءة بماء الورد .

- لا جنوى من أن تقول لى اتك ستكون طيبا ..
أنت بلسان كامل . وادع الله ألا تتغير ..
هز (لوريان) رأسه وقال :

- كلا يا (هارى) .. لقد ارتكبت أشياء مريعة فى
حياتى لكنى توقفت الآن وقد بدأت عملى الصالح
أمن ..

- « لى كنت ؟ »

- « فى الريف .. »

ليتم لورد (هنرى) وقال :

- يا صغيرى العزيز يمكن أن يكون كل انسان
صالحا فى الريف فلا إغراءات هناك .. فى المدينة
يمكن للمرء أن يفتن أو منحلا أما الريفيون
فليس الخيار أمامهم لذا يركبون .

ثم بدأ يشرح بعض الشئ من طبق وسأل

- « ولكن ما الخير الذى فعلته ؟ »

- سأخبرك يا (هارى) كنت فتاة حسناء .

تشبه (ميلفين) هل تذكر (ميليل) ؟ حسن ..



وهو ركن مكان كان هناك رجل راقع يرتدى قميص
خشيا وسروالا أزرق .

كانت (هيتى) تسميها .. لم تكن من طبقا فهي مجرد فتاة قروية .. لكسى أحستها واحتسنى .. وكان المفترض أن تهرب معى فجر اليوم .. لكنى فجأة قررت أن أتركها زهرة ياتعة كم وجدتها
- إذن أنت حطمت قلبك وكانت هذه بداية إصلاحك ١٩ »

- (هارى) لا تكن محباً . قلب (هيتى) لم يتحطم .. ولم تلوث ..

ضحت لورد (هارى) وهو يسترخى فى مقعده
- يا عزيزى ان لك مزاج طفل هل تحسب هذه الفتاة ستقع بعد اليوم باى واحد من طيفها ؟ ان حبك لها سيعلمها ان تحترق زوج المستقبل الذى لن يزيد على فلاح او مسبق عرمة . يمكن القول ان هذه ليست بداية طيبة أبدا . ثم كيف تعرف انها ليست طائفة الا فوق مياه بركة وسط زهور شوسن . مثلث كانت (اوشينيا) بعد انتحارها ..

- لا أتحمل سحر بيتك هذه يا (هارى) لا يهمنى ما تقول لى . فات سعيد بما فعلت . لا تحاول انقاعى بأن التضحية الوحيدة بالنفس التى قمت بها فى حياتى هى نوع اخر من الخطايا . دعنا لا نكلم عن هذا مرة ثانية .. فكلمنى عن نفسك .. »

- مازال القود يتحدثون عن اختفاء (باسيل) .. لقد ظنوا يتحدثون عن هذا شهرا ونصف الشهر .. ثم أضافوا لهذا موضوع طلاقى وانتحار (الان كامبل) .. إن اختفاء (باسيل) يحير (سكوتلانديارد) لكنه سيظهر - حتما - فى (سان فرانسيسكو) كل المختلفين يظهران فى (سان فرانسيسكو) ولا أدرى السبب .. لابد أنها مدينة جذابة ..

ثم غمغم فى شروود :

- مسكينة يا (فكتوريه) ! لكم أفقدتكم ! إن الروح عدة عدة سبية . لكن المرء يفقد حتى عداته السبية حين يحرم منها . وقد صر بيئى مكان موحش حق .

نهض (دوريان) الى البياض وراح يداعب انعاج الابيض والاسود فوق المفاتيح . ثم تساءل

- (هارى) . أتم يخطر لك ان هناك من قتل (باسيل) ؟

- لقد كان (باسيل) افن مهارة من أن يحظى بأعداء . انه موهوب لكن ممل . ممل حقاً وأنا أعرف ان هناك أماكن رهيبة فى (ساريس) لكنه ما كان يذهب اليها . فهو رجل بلا فضول .

- وماذا لو قتلتك . اسى قتلت (باسيل) ؟

- « أقول لك : إنك تتقمص شخصية ليست لك .. كل الجرائم سوقية كما أن السوقية جريمة .. إن الجريمة تمثل للطبقات المنحطة ما تمثله الفنون لنا .. وكل شيء يغزو ممتعاً حين تكرر لكن الجريمة عمل خاطئ .. وعلى المرء ألا يفعل شيئاً لا يستطيع أن يتكلم عنه بعد الغشاء .. لقد تدهور مستوى (باسيل) بعد ابتعاده عنك ، وصار رسمه مزيجاً من النوايا الحسنة والفن المتواضع .. مما يؤهل (باسيل) كي يصير رساماً بريظاً مشرفاً ! .. »
ثم أرجع رأسه للوراء .. وأضض عينيه قائلاً :
- « اعزف لي شيئاً من (شوبان) يا (دوريان) .. وفي أثناء العزف قل لي سر شبائك الدائم .. إنني أكبر منك بعشر سنوات لكنني مرهق متجعد .. لكنك لم تشخ قط . كأنك أنت كما رأيتك أول مرة .. أخبرني بسررك يا (دوريان) فإنا أدفع أي ثمن كي أعود شاباً .. لكن لا تطلب مني أن أصحو مبكراً أو أمارس الرياضة أو أصير محترماً .. الشباب ! .. لا شيء كالشباب .. »
ثم أرفف وهو يتأمل الفتى :

- « يسرني أنك لم تصنع شيئاً قط .. لم تحت تمثالاً أو ترسم لوحة أو تخلق أي شيء خارج نفسك .. كانت الحياة هي فنك الوحيد .. إن أيامك هي (المونيات) التي قمت بتأليفها ! »

كف الفتى عن العزف وقال :

- « لن أعيش ذات الحياة يا (هارى) .. »
- « لماذا كففت عن العزف ؟ أترى هذا القمر بلون العسل في السماء ؟ إنه فتاة جميلة تنتظر أن تفتتها بعزفك .. عندها سئدو من الأرض أكثر .. ألن تعود للعزف إذن ؟ »
قال بحزن :

- « إنها الحادية عشرة .. وقد حان ميعاد النوم .. فلنا مرهق .. »
ثم أرفف وهو يمشى في الغرفة :

- « (هارى) .. أنت سممت حياتي يوماً بكتاب معين .. عدني ألا تقرض هذا الكتاب لأي مخلوق .. فهو كتاب مؤذ .. »
- لا يوجد كتاب مسموم .. فالفن لا يؤثر على الأفعال .. بل هو يحبطها .. ولكني أراك قد صرت واعظاً تنهى الناس عن الآثام التي مللتها .. عدني بأن أراك غداً في الحادية عشرة .. »
تتهدد (دوريان) وتعلمي له ليلة سعيدة ، واتجه نحو الباب ..

ليلة جميلة كانت .. دافئة لدرجة أنه تخلص من معطفه ولم يربط المنديل الحريري حول عنقه ..
كان عائداً للدار يدخن لفافة تبغ ، حين سمع رجلاً يهمس لصاحبه :

« هذا هو ذا (نوريان جرای) .. »

تذكر أن ماراتى له فى القرية هو أن أحداً لا يعرفه ..
الفتاة التى أحبها هناك لم تكن تعرفه .. وحين قال لها :
إنه (آثم) ضحكت وقالت : إن الأثمين يكونون شيوخاً
قباح الوجوه .. ما أشد براءتها وما أجملها ! .. لم تكن
تعرف لكنها كانت تملك كل شيء فقدته هو ..

فى الدار جلس على الأريكة يفكر .. لاحقاً من المسير
أن يتغير المرء ؟ .. كم يشعر بحنين لطهر صباه ! ..
صباه الأبيض كزهرة كما وصفه لورد (هنرى) يوماً ..
لكم من حيوات أفسد وكم من نفوس عذب .. ! .. لقد
أفسده جماله الدائم .. لو كان وجهه كوجوه البشر يحمل
آثار خطاياها لكان هذا أفضل .. لربما خفف هذا من
حدة اندفاعه قليلاً .. لربما كفر عن خطاياها بعض الشيء ..

لكنها الصورة اللعينة .. الصورة التى جلبت كل هذا
الوبال ..

حياة جديدة ! .. هذا هو ما يريد .. وقد بدأها بالفعل
فتنقذ روحاً طاهرة .. وإن يحاول إغراء الطهر بعد اليوم ..
ولكن ماذا عن الصورة ؟ أتراها قد تبدلت ؟ بالتأكيد
لم تعد مريضة كما كانت .. ما دامت حياته قد صارت
طاهرة بلا آثام ..

صعد إلى الطابق العلوى ليتفحص اللوحة .. من اليوم
لن تظل رعباً يطارده ويداريه عن العيون .. وأزاح الستار ..
صرخة ألم نلت عنه حين رأى الصورة .. لم تتغير ..
بل زادت لمحة خبث فى العينين ومسحة نفاق حول الشفتين ..
إن الشيء صار أقبح مما كان لو كان هناك أقبح ..

أترى للخيلاء والعبث هما ما دفعه للقيام بعمله الصالح هذا ؟
لم هى غريزة التمثيل التى تجعلنا أحياناً نقوم بأشياء أتبل
من طبقنا ؟ ولماذا تبدو اللطخة الحمراء على اليدين أكبر ؟
لماذا تبدو الدماء كأنما تتساقط منهما على الأرض ؟
أنتطليه الصورة بالاعتراف بمقتل (باسيل) ؟
ومن سيصدق له لو تكلم ؟ ..

لا يوجد دليل ضده سوى الصورة ذاتها .. ولمسوف
يدمرها .. لماذا احتفظ بها كل هذا الزمن ؟ لقد لعبت
نور الضمير بالنسبة له ..

نظر حوله فرأى المدية التى طعن بها (باسيل) ..
لقد قتلت الرسام .. ولمسوف تقتل الرسام ذاته الآن ..
ستقتل الماضى .. وعندها يكون أمناً ..

ودون ترند طعن اللوحة ..

كأنت هناك صرخة .. صرخة ألم مريضة جعلت الخدم
يهبون من نومهم .. وتوقف رجلان يمران في الميدان
ونظرا إلى البيت .. ثم ناديا رجل شرطة .. فراح
يقرع الجرس مرارا دون إجابة ..

وفي داخل الدار هرع الخدم إلى الغرفة بالطابق
العلوي .. وتمكنوا من افتتاح الباب الموصد ..

وفي الداخل وجدوا صورة رائعة لسيدهم كما اعتادوا
أن يروه .. بكل جماله وسحره ..

وعلى الأرض كان رجل ميت قد انغrust مدية في
صدره .. كان وجهه مجعدا كريها .. حتى عجزوا عن
معرفة شخصيته ..

فقط حين رأوا الخاتم في يده عرفوا من هو ..

أوسكار وايلد ١٨٩١

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

٢٥٥٧

رقم الإبداع : ٩٧٧-١٦٣-٣٩٤

المطبعة العربية الحديثة

د. ١٠ شارع ١٧ منطقة الصناعية بالعاصمة

الطبعة - ١٩٩١ - ٢٠٠٠



دوريان جراي

هكذا كانت (دوريان جراي) أمنية غالية .. لقد تمنى
أن يحتفظ بشبابه على حين تشيخ صورته ، وتحمل
آثار أوزاره وخطاياها بدلا منه .. وكان له ماتمنى
عندها أدرك أنه بهاب الصورة ويخشها كالشيطان
ذاته .. وكذا يقدم لنا (أوسكار وايلد) هذه الدراسة
الشائقة عن جمال الصورة وفساد الروح ..

18